جـامعة زيان عـاشور – الجلفة
كلية العلوم الاجتمـاعية والإنسـانية
قسم التاريخ والآثار

محاضرات في تاريخ
التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الرصيد: 04 المعامل: 02 طريقة التقييم: 50% امتحان كتابي +50% أعمال موجهة

إعداد الدكتور
بن حاج ميلود
أستاذ محاضر " أ "
تخصص التاريخ الوسيط

الموسم الجامعي
1443-1444هـ/ 2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة معلومات المقياس

الكلية: العلوم الاجتماعية والإنسانية

القسم: التاريخ وعلم الآثار

المستوى الدراسي: السنة الثانية ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدة التعليم الأساسي

اسم المادة: التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي

الرصيد: 04

المعامل: 02

الحجم الساعي: 45 ساعة (محاضرة وتطبيق)

لقب واسم الأستاذ: بن حاج ميلود

البريد الإلكتروني: m.benhadj@univ-djelfa.dz

أهداف التعليم: (*ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*)

- التعرف على الروابط الثقافية بين الغرب الاسلامي والمشرق الاسلامي.
- الوقوف على مظاهر الصلات الثقافية بين قطري العالم الإسلامي (الغرب والمشرق الإسلاميين)
- إدراك دور التواصل الثقافي في تكامل القطرين وأثر الجانب الثقافي على باقي مجالات الحياة في المجتمع الاسلامي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف *تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر*).

- المعارف المتعلقة بالروابط الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي، (اللغة، الدين، الحركة العلمية ورجالاتها، الرحلة ودورها في الروابط الثقافية، كرحلة الحج، الرحلة العلمية، الرحلة التجارية، المناهج التعليمية، العلوم المتداولة، المذاهب والفرق، العمارة الإسلامية، الحواضر الإسلامية ودورها في الروابط الثقافية بين قطري العالم الإسلامي.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

- تحديد جغرافية قطري العالم الإسلامي (الغرب، المشرق) مع التركيز على خصائص ومميزات كل قطر.
- أثر الفتوحات الإسلامية في الروابط الثقافية بين القطرين (نشر الدين الإسلامي، اللغة العربية، النظم الإسلامية، العمارة الإسلامية...)
- الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي بين الغرب والمشرق الإسلامين (العلوم المتداولة ومناهجها، المؤلفات العلمية، العلماء...)
- المذاهب والفرق وتأثيراتها الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي.
- الحواضر الإسلامية ودورها في الإشعاع العلمي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي (مكة، المدينة، بغداد، دمشق، القيروان، بجاية، تلمسان، فاس، مراكش، قرطبة، غرناطة...)
- العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي (المساجد، الربط، الزوايا، القصور، القلاع، الحصون...)

المراجع: (*كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت*، إلخ)

- الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).
- عبد الرحمن ابن خلدون، ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،سنة 1421هـ/2000م.
- ابن عذاري، (كان حياً سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2009م)،ج 2، ج3.
- محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق و تعليق وتقدم ،المنتصر الكتاني ،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، ب ط،1985م.
- المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت.1041هـ/1231م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس،بيروت1388هـ/ 1968م.
- النويري (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24،تحقيق د.حسين نصار ومراجعة د.عبد العزيز الأهواني، القاهرة1403هـ/1983م.

- بنيامين الُتطيلي، رحلة إلى المشرق، تحقيق وترجمة إنجليزية من عمل،ماركوس ناتان آدْلَر، إعادة طبعة لندن 1907م، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،في إطارات جامعة فرانكفوت-جمهورية ألمانية الإتحادية،1416هـ /1995م.
- حسن أحمد محمود، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ط. الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1416هـ/1995م .
- حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة 1980م.
- ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)،كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.
- البكري (ت487هـ/1094م)،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، طبعة مكتبة المثنى، ببغداد (د.ت). وطبعة باريس، نشر البارون دي سلان، 1965م.
- الجاحظ (ت225هـ/ 909م) الحيوان، تحقيق يحي الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1990.
- رحلة عبد الباسط بن خليل
- التشوف إلى رجال التصوف للتادلي
- كتاب المناظرات للقاضي النعمان
- الأحكام السلطانية للماوردي
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري
- كتابي سير أعلام النبلاء وتاريخ الاسلام للذهبي
- الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز لعواطف محمد يوسف نواب
- كتاب أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، ليبيا، 1995م.
- معالم الايمان في معرفة علماء القيروان للدباغ وابن ناجي
- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم
- تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني
- الصلات الثقافية بين بلدان المغرب العربي لعثمان الكعاك
- -Brunchvic R La Berberie Orientale sous les Hafsides Des Origines à la fin du 15emeSiècle,Tome.,I(Paris,1940).

- -Dunlop D.M, Arabic Science In the West, (Karachi,1965).
- Golvin L, Le Magrib Central à L'Epoque Des Zirides, (Paris,1957).
- -Goitein S.R,A Mediterranean Society, In 4 Vols,(University of California Press,1967). -Ibid, Letters of Medieval Jewish Traders " Translated from the Arabic with an Introduction and notes". (Princeton University Press1973
- -Grunebaum,G.E Von,Medieval Islam :A Study in Cultural Orientation,2nd Ed,Chicago,(U.S.A,1953)
- Holt M.P, Lambton A.K.S, The Cambridge History of Islam. In 2 Vols,(Cambridge,1970).
- Hopkins.J.F.P, Medieval Muslim Goverment in Barbary, *Until the sixth century of the Hijra,* (London,1958).
- -Schacht J.and Bosworth C.E,The Legacy of Islam, (Oxford,1931).

مقدمة :

يعود التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي منذ عصر الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس، وقد كان هذا التواصل في البداية من جانب واحد أي من المشرق إلى الغرب الإسلامي من خلال حملات الفتح تنطلق من أرض مصر في زمن الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح عقبة بن نافع فزان وزويلة صلحا سنة 22ه/642م ضمن حملات الفاتح عمرو بن العاص لفتح المغرب، للتواصل سلسلة حملات الفتح في العصر الأموي خاصة في فترة حكم الخلفاء: معاوية بن سفيان، وعمر بن عبد العزيز، والوليد عبد الملك هذا الأخير الذي شهد في عصره فتح الأندلس على يد القائدين طارق بن زياد سنة 92ه/712م وموسى بن نصير سنة 93ه/713م، ولم تكن هذه الفتوحات الطابع العسكري الحربي، بل كانت رسالة حضارية في مختلف الجوانب حملها الفاتحون لأهل المغرب والأندلس على حد سواء؛ فبالإضافة إلى سلسلة المدن والمنشآت العمرانية التي شيدها الفاتحون بالمغرب كبناء القيروان وجامعها ، ودورها، نقلوا معهم رسالة الإسلام، وعلوم الدين، واللغة العربية لغة ذلك العصر المرتبطة بالحضارة التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وبعد عصر الفتوحات ودخول المغرب والأندلس ضمن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف في آسيا وإفريقيا كان لزاما أن تعقد الرحلات المتبادلة بين المشرق والغرب الإسلامي، فأهل الغرب الإسلامي كانوا يقصدون المشرق لغرض أداء فريضة الحج أو لطلب العلم من علماء المشرق خاصة في بلاد الحرمين منبع الدين، وأما أهل المشرق وخاصة العلماء كانوا يقصدون مدن الغرب الإسلامي لغرض نشر العلم أو التجارة أو البحث عن الوظيفة والحضوة لدى الولاة أو العامة من خلال الاشتغال بالتدريس.

وبعد قيام الدول في المغرب والأندلس ظهر التواصل الثقافي المتبادل بين الجانبين بشكل واضح وجلي؛ فقد استمرت الرحلات العلمية المتبادلة؛ فزيادة على التأثير المشرقي على الغرب الإسلامي ظهر التأثير العكسي كذلك أي التأثير المغربي على المشرق الإسلامي وتجلى ذلك في عدة مظاهر منها على سبيل المثال في المجال الأدبي كانتقال بعض الفنون التي ظهرت في الأندلس إلى المجالس الأدبية في المشرق وخاصة في مصر ونقصد بذلك فني الموشح والزجل، وحتى في مجال العمران انتقل الفن المعماري المغربي المميز إلى المباني المشرقية كالقلاع، وصوامع المساجد، والأضرحة وغيرها.

ولقد جاءت هذه المطبوعة البيداغوجية كمرجع مساعد لطلبتنا الأعزاء في مقياس: **"التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي"**، وهو من مقررات مشروع تكوين طلبة السنة الثانية ماستر –تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط- ويهدف هذا المقياس للتعرف على الروابط الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي من خلال الوقوف على مظاهر الصلات الثقافية بين قطري العالم الإسلامي (الغرب والمشرق الإسلاميين)، وحتى يدرك الطالب في هذه المرحلة دور التواصل الثقافي في تكامل القطرين وأثر الجانب الثقافي على باقي مجالات الحياة في المجتمع الإسلامي.

ولقد اتبعت في إعداد هذه المطبوعة المنهج الوصفي التاريخي من خلال تتبع جذور وطبيعة وآثار التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي متتبعا ما دونته المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية الحديثة حول هذا الموضوع، وقد حاولت تقديم المعلومة بشكل مختصر متبعا المحاور المدرجة في مشروع الماستر.

أرجوا أنني وفقت في تقديم أهم العناصر المطلوبة في كل محاضرة حتى يتسنى لطلبتنا الأعزاء فهم محتوى هذه المادة، وأن تكون هذه المطبوعة نافعة لهم، وتساعدهم كمرجع مُعين، ودليل لطلبتنا في بحوثهم عند الحاجة للتعمق أكثر في مواضيع هذه المحاضرات، والله من وراء القصد، وبه التوفيق والسداد.

المحاضرة الأولى

تحديد جغرافية قطري العالم الإسلامي (المشرق، الغرب الإسلامي)

وخصائص كل منهما

I-التعريف اللغوي (المشرق/ الغرب):

جاء اشتقاق اللفظين من كلمتي الشرق والغرب، وهما إحدى الاتجاهات الأربع المعروفة، وهي مصطلحات جغرافية[1]، ولقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم بصيغ الأفراد، والتثنية، والجمع، ومنها قوله تعالى: "رَّبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ"[2]، وفي موضع آخر قوله تعالى :"رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيِنِ"[3]، وقوله: "رَبِّ المَشارِقِ والمَغَارِبِ"[4] .

والمقصود بالمشرقين والمغربين عند المفسرين بمعنى المكان الذي تشرق فيه الشمس في الصيف والشتاء، ومكان غروبهما في الصيف والشتاء، وأما المشارق والمغارب فهما أمكنة شروقهما وغروبهما كل يوم خلال السنة، فقد قيل بأن الشمس تطلع في ثلاثمائة وستين كَوّة[5]، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل، وهذا مثل غروبها.

II-التحديد الجغرافي للمصطلحات(المشرق، المغرب، الغرب الإسلامي) في ظل الحضارة الإسلامية:

1/-مصطلح المشرق:

في ظل تغير عاصمة الخلافة في تاريخ العصور الوسطى عند المسلمين، وامتداد الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي؛ فقد كانت في دمشق ثم انتقلت إلى الكوفة؛ فالأنبار؛ فبغداد، فاختلف مدلول المصطلحين (المشرق/ المغرب) بحسب المدلول الجغرافي، واستعمل لفظ المشرق في بغداد للإشارة إلى فارس وخراسان وما يليهما شرقًا ، بينما استخدم لفظ المغرب للإشارة إلى ما يلي بغداد من الغرب، وعموما فلفظ المشرق يختلف مدلوله بحسب موقع من يستعمله؛ فمثلا الباحث حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني في كتابه "الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول(648-

---

[1] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1178.

[2] سورة المزمل ، الآية 8.

[3] سورة الرحمن، الآية 15.

[4] سورة المعارج، الآية 40.

[5] الكوة : الخرق في الحائط، فتحة، نافذة.

784ه/1250-1382م) يذكر بأن المشرق هو كل ما يلي مصر من جهة الشرق، والذي يضم بلاد الشام، جزيرة العرب، الجزيرة الفراتية، العراق، خراسان، بلاد ما وراء النهر، وبلاد فارس، وكرمان، والسند، والرحاب، وسجستان، وبلاد الديلم[6].

وفي الأندلس كلما اتجه الطالب في رحلته العلمية نحو المشرق أو جنوبا نحو العدوة المغربية يصنف المناطق التي يمر بها مشرقا فابن الفرضي (ت403ه/ 1012م) صنف القيروان ضمن حواضر المشرق وهو بصدد الترجمة للفقيه محمد بن وضاح الصدفي (توفي في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) لما قال: " ...ورحل إلى المشرق؛ فروى بالقيروان تفسير القرآن..." ، وقد ذكر القيروان فقط في هذه الترجمة[7].

وكنتيجة لما سبق ذكره فإن مدلول المشرق يختلف تحديده بحسب موقع المتكلم أو الدارس، ومنه فمدلول المشرق لدى الباحثين في تاريخ الغرب الإسلامي يقصد به ما يلي برقة شرقا على اعتبار بأن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي بدأت بفتح برقة على يد عمرو بن العاص سنة 22ه/643م.

2/-مصطلح المغرب:

أسهبت المصادر التاريخية والجغرافية في تحديد مدلوله أكثر من مصطلح المشرق الذي جاء في سياق التعريف بالمدن والأقاليم والبحار والأنهار.

وأول من استخدم مصطلح المغرب الخليفة الراشدي الإمام علي بن أبي طالب في حربه مع معاوية بن أبي سفيان لما أرسل إلى عامله في البصرة عبد الله بن عباس يأمره بالاستعداد إلى المسير نحو المغرب في قوله: " لقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب" لهذا فالمغرب يقصد به هنا بحسب الموضع الذي كان فيه الإمام علي بن أبي طالب أي أنه يقصد الشام؛ فقد ذكر هذا الخطاب وهو في الكوفة، وأما المشرق بالنسبة له فيقصد به ما جاء في شرق الكوفة كفارس، وخراسان، وما وراء النهر[8].

---

[6] حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني،**الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول(648-784ه/1250-1382م) العلوم الشرعية واللغوية**، دار غيداء، ص42.

[7] ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس**، ق2، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص30.

[8] موسى لقبال، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 18.

وأما ابن عذارى المراكشي ؛ فيذكر بأن المغرب تبدأ حدوده من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا، ويضم الأندلس كذلك[9].

ويعتبر أبو القاسم الإصطخري بأن المغرب ينقسم إلى قسمين: النصف الأول الشرقي وهو بلاد المغرب الذي يضم برقة، وإفريقية، تاهرت، طنجة، والسوس، وزويلة، والنصف الثاني الغربي فيضم الأندلس[10].

وأما مصطلح المغرب فيطلق على نطاق شمال افريقيا فإنه ظهر بداية من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عندما أشار ابن عبد الحكم إلى نشاط معاوية بن حديج بقوله: " خرج إلى المغرب"، وكذلك عندما تحدث عن حسان بن النعمان وأعماله في المنطقة[11].

3/-**الغرب الإسلامي:** يرى المؤرخ حسين مؤنس بأن الغرب الإسلامي يتألف من خمسة أقطار، وهي[12]:

-المغرب: ويشتمل بلاد الشمال الإفريقي من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي.

-الحوضان الأوسط والغربي للبحر المتوسط: ويضم جزيرة صقلية،وجزيرة مالطا، وجزيرة يابسة، وجنوب إيطاليا.

-الأندلس بما فيها جزر البليار.

-الصحراء الإفريقية: التي تقع جنوبي المغرب (التشاد، النيجر، مالي).

-غرب إفريقيا الإسلامي: التي تقع في المناطق المدارية والإستوائية ويطلق عليها بلاد السودان الغربي.

ومن الباحثين من يرى بأن مصطلح الغرب الإسلامي يُستخدم للتمييز بين بلاد الغرب الإسلامي والغرب المسيحي في العصر الوسيط[13].

---

[9] ابن عذارى المراكشي، (أبوعبد الله محمد)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1،تحقيق ومراجعة ج.س .كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ص ص 5-6.

[10] الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم محمد)، **المسالك والممالك**، ص7.

[11] ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، **فتوح مصر وأخبارها**، مطبعة بريل، ليدن، 1920، ص 200. موسى لقبال، المرجع السابق، ص 18.

[12] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004، ص 523.

[13] فوزية كراراز، **"مصطلح الغرب الإسلامي بين الرفض والقبول"**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 6، المجلد 1، ص 231

وعمومًا؛ فمصطلح الغرب الإسلامي يقصد به الجزء الغربي من العالم الإسلامي، ويضم تلك البلاد التي تقع غرب مصر من برقة إلى المحيط الأطلسي بالإضافة الأندلس، وجزر الحوضين الأوسط والغربي من البحر الأبيض المتوسط، وكل البلاد التي وصل إليها الإسلام في السودان الغربي، وجنوب المغرب.

III-خصائص كل قطر :

1/-المشرق[14]:

-احتضانه للحواضر المقدسة: مكة المكرمة، المدينة المنورة، القدس الشريف.

-وجود الحواضر العلمية به التي كانت قبلة لطلبة العلم المرتحلين إليه من الغرب الإسلامي؛ فزيادة على الحواضر المقدسة السالفة الذكر، اشتهرت كذلك مدن أخرى كالفسطاط، والإسكندرية، وبغداد، والبصرة، والكوفة، ودمشق، ...الخ.

- يمثل المشرق مهد المذاهب والفرق الإسلامية: فقد شهد ميلاد ونشاط شيوخ وفقهاء المذاهب السنية[15]، وحتى أقطاب الحركات الأخرى كالإباضية، والصفرية، والشيعة وفرقها؛ وحتى الصوفية؛ فكانت الحواضر التي احتضنت هؤلاء الشيوخ والرموز مقصدا للطلبة والأتباع من الغرب الإسلامي.

-احتضان المشرق لعواصم الخلافتين (التبعية السياسية في بعض العصور والفترات)؛ فمثلا في العصر الأموي كان المغرب الإسلامي تابعا للمشرق، وبقيام الدولة العباسية انفصلت بعض الأقاليم والمناطق وأسست كيانات سياسية مستقلة، ومنها على سبيل المثال: دولة الأمويين في الأندلس(138-422ه/756-1031م)، والدولة الرستمية في المغرب الأوسط (160-296ه/776-909م)، و**دولة الأدارسة في المغرب الأقصى**(172-375ه/788-

---

[14] حول خصائص المشرق ارجع: عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 247 وما بعدها.

[15] كالمذهب الحنفي نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان (ت150ه/ 767م) الذي ولد بالكوفة، وانتقل إلى مكة المكرمة، وبغداد، والمذهب المالكي نسبة إلى إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس(ت179ه/ 795م) الذي ولد في المدينة المنورة، والمذهب الشافعي نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت204ه/ 820م) الذي ولد في غزة، وانتقل إلى مكة، وبغداد، ومصر، والمذهب الحنفي نسبة للإمام أحمد بن حنبل(ت241ه/ 855م) الذي ولد في بغداد، ورحل إلى الكثير من حواضر المشرق، ....الخ.

985م)، وبقيت الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى (184-296ه/ 800-909م) تابعة اسميا للخلافة العباسية.

-المشرق منبع العلوم، ومصدر لأمهات الكتب: خاصة في العلوم الدينية كعلوم القرآن (القراءات والتفسير)، والحديث الشريف، والفقه، زيادة على العلوم اللغوية والأدبية كالنحو، والصرف، والبلاغة والعروض، ودواوين الشعر والنثر...الخ.

1/-المغرب[16]:

-التنوع العرقي: فقد ضم المغرب الإسلامي بما فيه الأندلس الكثير من الأجناس كالعرب ، البربر، الصقالبة، الأسبان، الأفارقة السود،...الخ.

-بعد المغرب عن مراكز الخلافة الإسلامية، وهذا ما شجع انفصال بعض البلدان عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف في عصر العباسيين، وأصبحت ملاذا آمنا لبعض الحركات الخارجية والشيعية التي استطاعت أن تؤسس دولا في بلاد المغرب كالدولة الرستمية الإباضية في تيهرت، والدولة المدرارية الصفرية في سجلماسة، والدولة العبيدية في المغرب الأدنى.

-تبجيل الحكام للعلماء المشارقة وتحبيبهم للارتحال إليهم: فقد قرب حكام الدويلات في المغرب والأندلس طبقة العلماء المشارقة، وحببوا الارتحال إليهم، وأغدقوا عليهم بالهدايا، والأموال، كما حدث مع المغني زرياب أبو الحسن علي بن نافع الموصلي (ت 243ه/857م) مع الأمير الأموي الأندلسي الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الأوسط، واللغوي، والشاعر والأديب أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي(ت 356ه/ 967م) مع الحكم المستنصر، والأديب واللغوي والقصَّاص صاعد بن الحسن البغدادي(ت417ه/ 1026م) الذي حل بالأندلس في ضيافة المنصور بن أبي عامر، وغيرهم.

---

[16] حول خصائص المغرب يرجع: خديجة طاهر منصور ، **"العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية (140-668ه/ 757- 1269م)"**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الموسم الجامعي 2018-2019.

المحاضرة الثانية

أثر الفتوحات الإسلامية في الروابط الثقافية بين القطرين

- تمهيد: يعد الفتح الإسلامي للمغرب من أهم وأبرز الأحداث التي ميزت العصور الوسطى بداية من العشرية الثالثة للقرن الأول للهجرة/ أربعينيات القرن السابع للميلاد، ولقد نتج عن هذا الفتح العديد من التغيرات في مجتمع المغرب مست هويته الدينية، واللغوية، كما ترتب عنه تغير حضاري في مختلف المجالات سياسيًّا، واجتماعيًّا، وعمرانيًّا؛ فحدثت عملية اختلاط بين البربر والعرب تحت حضارة الإسلام، وأصبح المغرب وحدة أساسية من الدولة الإسلامية التي كان مركزها شبه الجزيرة العربية ثم الشام.

I/-عناصر سكان المغرب: ذكرت المصنفات التاريخية بأن سكان المغرب يتألف من:

1-الروم، أو البيزنطيون: ويمثلون الطبقة الحاكمة في البلاد قبل الفتح الإسلامي، وكانوا يسيطرون على الشريط الساحلي، ولم يتوغلوا إلى الداخل نظرا لصعوبة التضاريس، ورفض أهالي البلاد التبعية لهم، وقد مارس الروم في بلاد المغرب الزراعة والتجارة[17].

2- الأفارقة: وهم بقايا أهالي **قرطاجنة، والسود الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية، وكانوا خدمًا للروم، ويشتغلون لهم خاصة في الزراعة.**

3- البربر: وهو العنصر الذي يهمنا بإعتبار أن العنصريين السابقين قد اندثرا مع استتباب عمليات الفتح الإسلامي، وضم المغرب **كولاية تابعة للخلافة الإسلامية ، ويعتبر البربر سواد المغرب، وينقسمون من حيث أسلوب العيش إلى قسمين:**

أ)-الحضر(البرانس): وهم الزراع، وسكان المدن، والسهول الخصبة، ومن أكبر قبائلهم: صنهاجة، ومصمودة؛ فأما صنهاجة فقد عمرت المغرب الأوسط من جبال الأوراس إلى جبال الريف في شمال المغرب الأقصى، وتواجدت قبائل أخرى من صنهاجة في المنطقة التي تقع جنوبي المغرب الأقصى من وادي درعة إلى بلاد السودان الغربي، **وأما**

---

[17] حمودة عبد الحميد حسين، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي –منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 24. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2008، ص 47.

مصمودة فقد كانت مواطنها من شمال المغرب الأقصى إلى جنوبه بمحاذاة بحر الظلمات[18].

ومن قبائل البرانس كذلك: أوربة، كُتامة، أوريغة، أزداجة،...الخ.

أ)-الرحل(البُتـــــر): وهم الرعاة، ويميلون للاغارة على السهول، وما يجاورهم من عمران، وكانت حركة تنقلاتهم، وترحالهم تنحصر بين السفوح الجبلية كجبال الأطلس الذي يمتد من جبال نفوسة (جنوبي إقليم طرابلس) إلى ساحل بحر الظلمات، ومن أكبر قبائل البتر: زناتة التي تمركزت في الصحاري وأقاليم الرعي، زيادة على قبائل ضريسة، نفوسة، لواتة، أداسة،...الخ[19].

II/-دور الفاتحين في نشر الإسلام واللغة العربية بالمغرب:

تجلى عمل الفاتحين في نشر الإسلام واللغة العربية بإفريقية والمغرب عموما بفضل العوامل التالية:

1/-**معركة سُبيطْلَة (أواخر 28ه/ 649م)**: التي قضى فيها قائد الحملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح على قوات البطريق جريجوريوس (جرجير)، وكان من نتائج هذه المعركة أن دخل في الإسلام عدد كبير من زعماء القبائل البربرية، ومنهم على سبيل المثال : " وزمان" أو " وزمار" بن صقلاب أمير قبائل مغراوة الزناتية، الذي قيل بأنه قد وقع أسيرا في موقعة سبيطلة، وأرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان؛ فأسلم على يديه، وأمّره على قومه للجهاد في سبيل الله، ونشر الإسلام بينهم.[20]

2- **وفود جماعات عربية:** وفدت مع حملات الفتح الإسلامي جماعات عربية إلى مدن المغرب ومناطقها الكبرى كبرقة، وطرابلس، وسبيطلة؛ فكانوا يعلمون قبائل البربر اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، وتحفيظ القرآن الكريم، وكان أغلب

---

[18] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987، القاهرة، ص134.

[19] نفسه. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص49، 52.

[20] ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،ج2، ضبط ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 573 وما بعدها. عبد الواحد ذنون طه وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004، ص ص 171-172.

تلك الجماعات من الجند، ومن أشهر هذه الجماعات التي استقرت في هذه المناطق: قبيلة قريش، حمير، حضر، فهر، غفار.

3-إرسال بعثات الفقهاء: كالبعثة التي ارسلها موسى بن نصير التي ضمت 27 سبعة وعشرون فقيها لتعليم البربر أصول الدين الإسلامي عندما عين طارق بن زياد واليا له على طنجة؛ فعلموها القرآن الكريم، واللغة العربية، وما يحتاجونه في دينهم.

وأما في الأندلس فقد بنا موسى بن نصير مسجدا بالجزيرة الخضراء عرف بمسجد الرايات سنة 93ه/ 711م، وبنا التابعي حنش بن عبد الله الصنعائي (ت100ه/ 718م) مسجدا بسرقسطة، وهو أول من اختط مسجد قرطبة وحدد قبلته، كما اختط مسجد إلبيرة،...الخ.

III/-دور الفاتحين في إرساء النظم الإسلامية بالمغرب:

1)- مجال الإدارة: ساهم الفاتحون في تنظيم الإدارة ببلاد المغرب؛ فدونوا الدواوين، وقسموا ولاية المغرب إلى ولايات فرعية أو ما تسمى في المصادر بالأعمال، واقطعوا للبربر المسلمين أراضي جعلوهم مسئولين عنها مسؤولية مباشرة، ويعد عقبة بن نافع أول من شيد الحواضر بالمغرب فقد بنا مدينة القيروان وجعلها عاصمة وقاعدة لولاية المغرب.

وأنشأ حسان بن النعمان (71-85ه/ 690-704م) الدواوين (ديوان الجند، ديوان الرسائل والكتب، ديوان الخراج،...الخ)، وأقام العُمّال في النواحي، واحتفظ حسان بدار السكة التي كانت موجودة في مدينة قرطاجنة؛ فضرب النقود، وأدخل تعديلات على رسم النقود؛ فجعل على وجه الدينار صورة الخليفة عبد الملك بن مروان وولي عهده الوليد، وعبارة "بسم الله الرحمن الإله الأحد"، وعلى ظهره صورة صولجان مع عبارة :" وحده لا شريك له ولا مثيل له" مع ذكر تاريخ الضرب ومكانه.

وأما موسى بن نصير(85-92ه/704-711م)؛ فقد قسم المغرب إداريا إلى أربع أعمال[21]:

-افريقية وتضم طرابلس.

-المغرب الأوسط.

[21] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 135.

-المغرب الأقصى.

-سجلماسة والسوس.

2)- مجال الاقتصاد(الضرائب):

أ)-الزكاة(العشور): يُنسب إلى حسان بن النعمان بأنه أول من سن تنظيم إداري للأراضي بالمغرب وهو ما ساعد في تحصيل الزكاة، وولي التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني على صدقات الناس والسعي في تحصيلها، ولُقب بالساعي أي جامع الزكاة، وكان ذلك في حدود سنة 74ه/ 693م، وأورد ابن الفرضي لحنش الصنعاني بأنه أول من ولي عشور افريقية في الإسلام[22].

ب)-الجزية: وهي ضريبة كانت تفرض على غير المسلمين، ويوجد نص أفرده ابن عبد الحكم عن برقة في عصر عمرو بن العاص (قبل 23ه/ 643م) بقوله: " لم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج، وإنما كانوا يبعثون الجزية إذا جاء وقتها"[23].

ج)-الخراج: وهي ضريبة على الأرض تدفع سنويا، إما بِنِسْبة معينة من المحصول الزراعي أو تدفع بالأموال (نقدا)، وقد قسمت أراضي الخراج بالمغرب إلى نوعين:

-أراضي الخراج المفتوحة عنوة: ويدفع ساكنوها الخراج سواء كانوا كمسلمين أو غير ذلك، وملكية هذه الأرض تصبح للسلطة الحاكمة، ويصبح هذا الخراج بمثابة إيجار يدفع للدولة، وفي هذه الحالة يدفع المسلم الخراج والعشور معا، وأما غير المسلم فيدفع الخراج والجزية معا.

-أراضي الخراج المفتوحة صلحا: وأصحابها دعوا إلى الإسلام فامتثلوا طوعا، وفي هذه الحالة يتركون مالكين لأراضيهم مقابل صلح مبرم، وفي هذه الحالة لا يدفع الخراج إلا إذا كان صحابها كافرا.

---

[22] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 125.

[23] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص 170-171

المحاضرة الثالثة

الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي

بين الغرب والمشرق الإسلاميين

اتخذ انتقال وتبادل العلوم بين المشرق والغرب الإسلامي عدة أشكال ومنها: انتقال علماء المشرق إلى الغرب الإسلامي أو العكس (انتقال علماء الغرب الإسلامي إلى المشرق)، زيادة على دور التجار، والحجيج في حركة الكتب بين القطرين.

أ)-العلوم التي انتقلت من المشرق إلى الغرب الإسلامي:

- عصر الفتوحات الإسلامية:

-القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية: وتعد أولى العلوم التي دخلت إلى الغرب الإسلامي مع الفاتحين بالإضافة إلى اللغة العربية، فقد رأينا سابقًا بأن حملات الفاتحين كانت تضم أسماء لبعض الصحابة (جيش العبادلة في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح)، والكثير من التابعين والفقهاء (حنش بن عبد الله الصنعائي وغيره)، وقام هؤلاء العلماء بنشر علوم الدين الإسلامي ومنها بالأخص القرآن الكريم والحديث الشريف بين البربر في المناطق المفتوحة في المغرب و الأندلس حديثي الإسلام.

- **ما بعد الفتح الإسلامي** (عصر الدول):

بعد الفتح الإسلامي وعصر الدويلات نشط أهل المغرب والأندلس للاستزادة أكثر؛ فعقدوا الرحلات إلى المشرق كما استقبلوا علماء المشرق الوافدين إليهم، واشتهر الكثير من العلماء الذين نبغوا في علم بعينه أو عدة علوم تحت ما يعرف بالعالم الموسوعي.

1/-العلوم الدينية: -علم القراءات: وهو علم اختلاف روايات القراء في قـــــراءة القرآن، ومنها القراءات السبع المشهورة التي صارت أصولاً للقراءة"[24]، والاختلاف يكمن في رسم المصاحف، إما اختلاف النقط والمعنى واحد، أو اختلاف بعدم اجتماعهما في معنى واحد[25] .

---

[24] ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)، **مقدمة ابن خلدون**، ج3، تحقيق وتنظيم وضبط وشرح وتعليق علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006، ص 931 .

[25] بلغيث محمد الأمين، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم**، دار الوعي، ط1، الجزائر ،2009، ص ص 121-122.

واشتهر المغرب الإسلامي باعتماد قراءة نافع بن أبي نعيم(ت169هـ/785م)، ويعد الغازي بن قيس(ت199ه/785م) أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس، حيث قرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، فكان يُقرأ عليه في الأندلس[26].

ولقد اتبع الأندلسيون القراءة الوافدة من المشرق عن نافع بن أبي نعيم ، وكان لمدرسة القيروان في هذا التخصص فضل على الأندلسيين الذين أخذوا علم القراءات على بعض علماء القيروان، وكان من أبرزهم في هذا المجال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت437ه/1045م)الذي وفد إلى الأندلس، وسكن قرطبة سنة 393ه/1002م، وفيها ألقى أبو محمد دروسه، وتصدر للتعليم في علم القراءات[27].

و من أشهر العلماء الذين برزوا في هذا العلم أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت444هـ/ 1052م) الذي بلغ الغاية فيه ، وكان من الأئمة الذين انتهى إليهم علم قراءة القرآن الكريم، وطرقه، ورواياته وتفسير معانيه، وإعرابه، ولم يكن في عصره من يضاهيه[28]، وتعددت مؤلفاته في هذا العلم، وكان من أشهر كتبه في هذا المجال كتاب التيسير في القراءات السبع، وجامع البيان، وأسس مع أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ما يشبه بمدارس للقراءات في الغرب الإسلامي [29].

-علم الفقه: وهو العلم الذي بسببه دخلت المذاهب إلى الغرب الإسلامي فدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس رغم قصر مدة انتشاره بها، ثم المذهب المالكي الذي ساد في المغرب والأندلس، وبنسب أقل بالنسب للمذاهب الأخرى ماعدا المذهب الاباضي الذي قامت على

---

[26] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، 345 .

[27] وهو كذلك عالم بالتفسير واللغة العربية، ولد بالقيروان سنة 355ه/966م، وتوفي بقرطبة ، ولقد ألف كتباً كثيرة في القراءات من بينها "التبصرة في القراءات السبع" ، " الموجز في القراءات"، " الإبانة في القراءات" ، "مشكل إعراب القرآن "وهو الذي ألفه أثناء رحلته في المشرق، وقيل أن مجموع مؤلفاته قد بلغت خمسة وثمانون كتاباً. الضبي (أحمد بن يحيى)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989، ص627. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، ط16، بيروت، 2005، ص286 .

[28] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 933. أنخل جنثالث بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص 405 -406 .

[29] محمد المختار ولد أباه، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، سلا المغربية، 2001، ص 197 وما بعدها .

أفكاره دولة الرستميين بتيهرت، والمذهب الصفري الذي قامت عليه دولة بني مدرار بسجلماسة، والمذهب الإسماعيلي الشيعي الذي أسس الدولة العبيدية بالمغرب الأدنى قبل انتقالها إلى مصر.

لهذا فالفقه، وأسس المذاهب الفقهية بالغرب الإسلامي كانت وافدة من المشرق، وفي هذا الموضع سيقتصر الذكر على المذهب المالكي في الأندلس كنموذج لمن كان لهم الفضل في إدخاله إلى هذا القطر .

فبالنسبة للمذهب المالكي فيعود الفضل في انتشاره إلى وفود الطبقة الأولى ممن لقوا الإمام مالك إلى الأندلس، وتتضمن تلك الطبقة الفقيه زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت183ه/799م)، والغازي بن قيس(ت199ه/814م)، وقرعوس بن العباس(ت220ه /835م)[30]، فنشروا مذهب الإمام مالك[31]، ويذكر الحميدي ، والمقري بأن زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون هو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس مكملاً متقناً، فأخذ عنه يحيى بن يحيى الليثي(ت234ه /848م) ثم أشار زياد على يحيى بالرحيل إلى مالك والسماع منه مباشرة، فرحل وأخذ عنه، وكان انتشار المذهب به، وبزياد، وبعيسى بن دينار(ت212ه/827م)[32]، وغيرهم.

وفي الفقه ألف زياد بن عبد الرحمن (ت204هـ/819م) كتاب عرف بسماع زياد، وهو حصيلة سماعه الموطأ من مالك[33]، وكان للفقيه عيسى بن دينار الغافقي(ت212ه/827م) كتاب البيوع ألفه من سماعه.

---

[30] قرطبي، يكنى بأبي الفضل، أو بأبي محمد، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الإمام مالك وغيره من العلماء، واختص بعلم المسائل على مذهب الإمام مالك، روى عنه بعض فقهاء الأندلس منهم عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م)، وغيره. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 372 – 373. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 595 .

[31] الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، 1966، ص ص218-219. الضبي، المصدر السابق،ج2 ، ص 372. أحمد تيمور باشا، **المذاهب الفقهية الأربعة(الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين**، تقديم محمد أبو زهرة ، دار القادري ط1، بيروت، 1990، ص 64.

[32] الحميدي، المصدر السابق، ص218. المقري التلمساني(أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج2، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998، ص215 .

[33] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق 1، ص 155 .

2/ -العلوم اللغوية والأدبية:

-علم النحو: ومن الكتب المشرقية التي دخلت الأندلس في علم النحو كتاب سيبويه (ت180ه/796م) الذي أصبح عليه مدار الدراسة في الحلقات العلمية[34] ، وكذلك كتاب عالم الكوفة النحوي الكسائي علي بن حمزة(ت189هـ/805م)[35]، ويعد قاسم بن ثابت بن حزم(ت302ه/915م)[36] أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه/786م) واعتنى قاسم بجمع الحديث واللغة، وأدخل هو وأبوه بعد رحلتهما إلى المشرق علمًا كثيرًا [37].

-الشعر: كديوان أبي تمام(231ه/846م)، وديوان المتنبي(ت354ه/ 965م)، وديوان المعري(ت449ه/ 1057م)، وغيرهم، إذ كانت هذه الدواوين محط اهتمام وعناية من طرف الأندلسيين؛ فشرحوها، وفسروها، وألفوا في موضوعاتها[38] .

3/-العلوم الطبيعية والرياضية:

-علم الطب: اعتمد الأندلسيون في دراساتهم للطب على ما ألفه أهل المشرق في هذا العلم والذين بدورهم نقلوها عن أمهات الكتب اليونانية القديمة المترجمة ككتب ابقراط[39]،

---

[34]نفسه، ص 166.

[35] من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها وتعلم بها، إمام في اللغة والنحو، والقراءة، قرأ النحو بعد الكبر، سكن بغداد، وتوفي بالري، وهو مؤدب أبناء الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193ه/786-809م) كان يعلمهم الأدب، ولقبه معلمه حمزة بن حبيب الزيات الكوفي(ت158ه/374م) بالكسائي لأنه كان يرتدي كساء جيد في إحدى حلقاته وبهذا أصبح يطلق عليه هذا اللقب، ومن مؤلفاته مختصر في النحو معاني القرآن، المصادر الحروف، القراءات النوادر ...الخ. الزبيدي الأندلسي(أبوبكر محمد بن الحسن)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص127 وما بعدها. ابن خلكان شمس الدين(أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1994، ص295 وما بعدها .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 283 .

[36] يكنى بأبي محمد، من أهل سرقسطة، ولد سنة 255ه/869م، رحل مع أبيه إلى مكة ومصر، وأريد على القضاء بسرقسطة فامتنع، توفي بسرقسطة ومن مؤلفاته الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل، وتوفي قبل إتمامه فأكمله أبوه الذي عاش بعده. ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص 361. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 174 .

[37] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1 ، ص 361 .

[38] خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994، ص64. إبراهيم علي العكش، **التربية والتعليم في الأندلس**، دار عمار، دار الفيحاء، ط1، عمان، 1986، ص197 .

وجالينوس[40] ، وساهم العلماء الوافدون من المشرق، وكذلك الأندلسيون الذين ارتحلوا إليه في إدخال كم هائل من الكتب المتخصصة في هذا الميدان، فزيادة على محاولات الأندلسيين الأولى في كتابة بعض المبادئ الأولية، وعموميات عن علم الطب ، كالكتاب الذي ألفه الفقيه الأندلسي عبد الملك بن حبيب السلمي الألبيري (ت238هـ/852م) المسمى "مختصر في الطب"[41].

ووفد إلى الأندلس مجموعة من علماء المشرق في الطب أو ممن أدخلوا معهم كتب الطب، والتي استغلها الأندلسيون في دراستها، والاشتغال بها في هذه المهنة، ومنهم على سبيل

---

[39] طبيب، وأبوه طبيب، وجده طبيب، وهو كذلك فيلسوف، وعالم في الطبيعيات، عاش ابقراط قبل ميلاد المسيح بنحو أربع مائة سنة وبلغت مدة حياته نحو خمسًا وتسعين سنة، وتعلم منذ الصغر لما بلغ ست عشرة سنة، وأصبح عالـمًا ومعلمًا في سنة السبعين سنة، وله الكثير من المصنفات بلغت نحو ثلاثين كتابًا منها اثني عشر كتابًا في الطب ككتاب" الأجنة"، "طبيعة الإنسان"، "الفصول"، "الأمراض الحادة "، " أوجاع النساء "...الخ. إسحاق بن حنين، **تاريخ الأطباء والفلاسفة** تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985، ص ص153، 158. صاعد الأندلسي(أبو القاسم صاعد بن أحمد)، **طبقات الأمـــم**، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص ص27- 28. ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 43 وما بعدها .

[40] هو من الأطباء الكبار اليونانيين القدماء، عاش معاصرًا للمسيح عيسى عليه السلام أو بعده بنحو مائتي سنة، ولد ونشأ بمدينة فرغامس، وهي مدينة صغيرة من مدن آسيا تقع شرقي القسطنطينية، تعلم أولًا على يد أبيه، ثم على العلماء والمهندسين، والأدباء واللغويين ببلده، ودرس الطب، وأخذ الأدوية، وتعلم وهو في سبع عشرة سنة، يقال بأنه قلق على تقلص عدد النافذين في الطب، فقام بتعليم الناس الطب وله مجالس عامة يخاطب فيها، وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به من فضله وتمكنه، وزيادة على ذلك فقد اتقن علم الهندسة، والحساب، والمنطق، والفلسفة، سافر إلى مصر، ومات في رحلته منها إلى بلاد الشام، له مؤلفات كثيرة منها "كتاب العصب"، " كتاب القوى الطبيعية والعلل والأعراض" وغيرها. حنين بن اسحاق، المصدر السابق، ص ص153، 159. صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص28. ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص 109 وما بعدها. محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرون**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1971، م3 ، ص3 وما بعدها .

[41] خميسي بولعراس،**الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف400–479هـ/1009- 1086م**، "مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي"،قسم التاريخ،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الموسم الجامعي2006-2007، ص189.

المثال الرجل الذي يدعى الحراني، نسبة إلى حران[42] الذي دخل إلى الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(238-273ه/852-886م)، واشتهر بالطب في قرطبة[43] .

-علم الفلك: كان علم الفلك محظورا في الأندلس قبل عصر الخلافة إلا فيما يتعلق بالأمور بالصلاة كتحديد القبلة، ومعرفة بداية الأشهر القمرية والأعياد الدينية كبداية شهر رمضان ونهايته وعيدي الفطر والأضحى، وغيرها، ولقد أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238 ه/822-852م) عباس بن ناصح الثقفي الجزيري إلى العراق ليجلب له الكتب القديمة، فأتاه بكتاب السندهند[44]، وهو أعظم كتاب فلكي هندي ، ويعد عباس بن ناصح أول من أدخله إلى الأندلس[45] .

ب)-العلوم التي انتقلت من الغرب الإسلامي إلى المشرق:

-الموشح: نوع من الشعر تكون فيه القوافي اثنتين اثنتين، وبانتظام هاتين القافيتين تسمى العقد ، والموشحة تتألف من فقرات تسمى الأبيات ، كل فقرة تتألف من عدد معين من أشطار الأبيات في قافية واحدة ، وبعد كل فقرة يأتي بيت لكن بقافية أخرى ، ويسمى هذا البيت

---

[42] هي مدينة تقع على طريق الموصل والشام والروم، وقيل بأنها كانت تسمى بهاران شقيق سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها، فعربت إلى حران.ياقوت الحموي(شهاب الدين بن عبد الله)،**معجم البلدان**،م2، دار صادر، بيروت، ص235.

[43] ابن جلجل الأندلسي(أبوداود سليمان بن حسان)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985، ص94. صاعد الأندلسي، المصدر السابق ، ص 78 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 486 -487 . ويقول المستشرق الاسباني أنخل جنثالث بالنثيا بأن اسمه هو يونس بن أحمد الحراني، والملاحظ أنه لم يكن له ذكر بهذا الاسم في كتاب التراجم والطبقات سواء المذكورة سالفًا أو عند ابن الفرضي، أو الضبي أو ابن بشكوال ، ولا حتى عند المقري التلمساني. أنظر أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 461.

[44] هو من أقدم الكتب التي ترجمت من الهندية إلى العربية ، وقد تعلم منه العرب الحساب والأعداد الهندية المعروفة ، وقيل بأن سبب تأليفه أن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(136-158ه/754-775م) أمر بأن يؤلف كتاب منه تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولى ذلك العالم الفلكي محمد بن إبراهيم الفزاري(ت نحو180ه/796م) وعمل منه كتاباً سماه المنجمون بسد هانتا أو السندهند الكبير ومعناه باللغة الهندية الدهر الداهر. ويعد هذا الكتاب دائرة معارف في علمي الفلك والمثلثات، ولقد قام أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي(ت232ه/846م) باختصار هذا الكتاب.صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص ص49 – 50.ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، ج1، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1978، ص45. عبد الواحد ذنون طه، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، دار المدار الإسلامي ، ط1، بيروت، 2004، ص47 . .

[45] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق،ج1، ص45. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص47.

بخرجة، وأما الأبيات الأولى فتسمى الأغصان ، ويلتزم صاحب الموشحة بقافية هذه الخرجة في كل خرجات موشحته ، وقد تتغير قافية الأغصان لكن بشرط أن يُلتزم ببحر واحد[46].

فمثلًا ينظم الوشاح أربعة أبيات الأولى بقافية واحدة ، ثم يكون البيت الخامس بقافية أخرى، ثم أربعة أبيات أخرى بنفس قافية الأربعة أبيات الأولى ثم البيت العاشر، وهو الخرجة تكون قافيته بنفس قافية البيت الخامس وهكذا ، وعادة ما تنتهي هذه النظم إلى أربعة أبيات على الأكثر[47] .

ويعد الأندلسيون أول من ابتدعوا الموشح، فلما كثر الشعر عندهم، واختلفت أغراضه وتنوعت مواضيعه استحدثوا هذا الفن، وبلغ صيتهم، وشهرتهم في هذا الفن إلى المشرق، فاستحسنوه، وقلدوهم في نظمه [48] .

و صرح ابن بسام الشنتريني(ت542ه/1147م) بأن أول من ابتكره هو محمد بن محمود القَبْري الضرير[49] أو ابن عبد ربه أحمد بن محمد(ت328هـ/940م) صاحب العقد ، ثم جاء من بعدهم يوسف بن هارون الكندي الرمادي (ت403ه/ 1012م)[50] لينظمه أكثر[51]، غير أن ابن خلدون(ت808ه/1405م) يقول أن الفضل في ظهور الموشح يرجع إلى مقدم بن معافي القبري(عاش في عصر عبد الرحمن الناصر)[52]، ويتفق معه المستشرق الإسباني أنـخل

---

[46]أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص 143 .

[47] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1190 .

[48] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 04 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1189 .

[49] شاعر، وأديب أندلسي، لم تورد المصادر الكثير عنه. الحميدي، المصدر السابق، ص93 .الضبي، المصدر السابق ، ج1 ص ص 171- 172 .

[50] قرطبي، يكنى بأبي عمر، شاعر أندلسي، أصله من ماردة – إحدى قرى شلب- كان يُلقب بأبي جَنِيش ثم الرمادي، له كتاب الطير معظمه في الشعر ألفه في السجن، وكان قد سجنه الحكم المستنصر لتنظيمه شعر يهجوه فيه، ولما أطلق سراحه صار يمتدح بعض الوزراء وحكام الأندلس كالمنصور بن أبي عامر، توفي فقيرًا معدومًا. الحميدي، المصدر السابق، ص369 وما بعدها. الضبي، المصدر السابق،ج2، ص664 وما بعدها .ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، **الصلة**، ج3، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989، ص969. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 255 .

[51] ابن بسام الشنتريني الشنتريني،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق1، م1، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، ص469 .

[52] ابن خلدون ، المصدر السابق ج3 ، ص 1190 .

جنثالث بالنثيا في ذلك[53]، ومقدم المذكور سالفًا هذا هو الذي أخذ عنه أحمد بن عبد ربه[54]، وما يؤاخذه على مقدم بن معافي بأن شعره في الموشح غير منظم ، ولا يلتزم بقواعده ، ويخلط اللغة العربية الفصيحة باللهجة الأعجمية [55].

واختلف الباحثون في تاريخ انتقال الموشحات إلى المشرق فمنهم من يقول في العصر الفاطمي، وآخرون يحددونه في أواخر القرن الخامس الهجري، ومنهم من يقول بأن من أوائل الأندلسيين الذين نقلوا الموشحات إلى المشرق هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز(ت529/1134م) الذي رحل إلى مصر، وأقام بها عشرين سنة ونقلها إلى المصريين ومن أشهر الوشاحين المشارقة علي بن عياد ظافر الإسكندراني (ت526ه / 1131م).

مثال لموشح أندلسي اشتهر في بلاد الشام يُعرف بالششتري(ت668ه) في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أحمد خير رسول للخلق أرســـــله الله

وعلى آله وصحبه وكل داع إلى الله

-الزجل: بعد أن شاعت الموشحات وأخذ بها الناس، بدأ العامة على منوال الموشح يصنعون النظم من كلامهم في الموشح باللغة العامية الخليطة بين العربية الفصحى واللغات الأعجمية من غير الالتزام بقواعد الإعراب، فظهر ما يُعرف بفن الزجل[56].

والفرق بين الموشحة والزجل، أن الموشحة لا تكون إلا باللغة العربية الفصيحة، وتكون ألفاظها مهذبة، وينظم فيها بأسلوب أرفع من الزجل، أما هذا الأخير فهو لا يكون إلا باللهجة الدارجة العامية، وكلاهما نوعان من الشعر، ونظم قصائدهما أسهل مقارنة من نظم الشعر الفصيح[57].

ويعد أبو بكر بن قزمان(ت554هـ/1160) هو مبتكر هذا الفن وإمام الزجالين في الأندلس، وهو الذي كتب في أعلى لوحه لما كان في مرحلة الصبا :

الـمــــلاح أولاد إماره والوحاش أولاد نصاره

---

[53] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 153 .

[54] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1190 .

[55] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 469 .

[56] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1200 .

[57] نفسه .

وابن قزمان جا يغفر ما قبل له الشيخ غفاره

فلما اطلع الشيخ على اللوح عجب، وقال له: "هجوتنا بكلام مزجول ، يعني مُقَطَّع يترنم به. ولقد انتقل الموشح من الأندلس إلى المشرق ولقي إقبالا واستحسانا خاصة في بغداد، إذ كانت العامة يتغنون به لبساطته وسهولة ألفاظه العامية، حتى أصبح يؤلف به الأغنيات في الأعراس والحفلات مع أدوات الطرب، ومن أشهر الزجالين المشارقة الشاعر المصري كمال الدين بن النبيه(ت619ه/1222م) الذي يقول:

الزمان سعيد مواتي والحبيب حلو مقرطق

والربيع بساط أخضر والشراب أشقر مروق[58]

المحاضرة الرابعة

المذاهب والفرق وتأثيراتها الثقافية بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي

مدخل:

يعود ظهور الفرق بشكل واضح بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35ه/ 656م؛ إذ انقسم المسلمون إلى فريقين، فبعد أن بايع الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة للمسلمين، رأى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بضرورة الاقتصاص من قتلة عثمان بن عفان أولًا قبل تعيين خليفة عثمان؛ فدخل الفريقان في اقتتال بينهما في معركة صفين 37ه/657م، والتي رُفعت فيها المصاحف على أسنة الرماح من قبل الجيش الشامي بقيادة معاوية بن أبي سفيان الذي دعا جيش العراقيين الموالين لعلي بن أبي طالب إلى كتاب الله ليحكم بينهم، وقد توقف القتال في هذه المحطة الفاصلة من المعركة بعد استشارة علي رجاله وقادته في المعركة رغم معارضة فئة من جيشه وقف القتال، ومنهم على سبيل المثال الأشتر وعدي بن حاتم، وهم من جماعة المتآمرين على قتل عثمان رضي

[58] هبة الله محمد، **العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2013، ص 361

الله عنه، وأنكرت هذه الجماعة قبول الإمام علي للتحكيم، وألحوا عليه بمواصلة القتال إلى أن يُنفذ حكم الله على حد زعمهم، وهذه الجماعة هي نواة الخوارج[59].

وتعد الشيعة من أقدم الفرق الإسلامية؛ فهم يرون بأن علي بن أبي طالب الأحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الصديق، وأنه الخليفة المختار من النبي صلى الله عليه وسلم، وانقسمت الشيعة إلى العديد من الفرق، ومنها الكيسانية، والزيدية، والإمامية، والغلاة، والإسماعيلية، ...الخ[60].

وبعد معركتي صفين والنهروان 37ه/657م ثم مقتل علي بن أبي طالب سنة 40ه/ 661م انقسم المسلمون إلى ثلاث: سنة، وشيعة، وخوارج، فاشتهر للسنة عدة مذاهب، ومنها المذاهب الأربعة المعروفة: المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنبلية، وأما الشيعة كما ذكرنا سابقا فقد تفرعت إلى عدة فرق كالكيسانية، والسبئية، والإسماعيلية، وأما الخوارج فقد عرفت هي الأخرى العديد من الفرق كالإباضية، والأزارقة، والنجدات...الخ.

1-انتشار الخوارج بالغرب الإسلامي :

-تعريف الخوارج:

-لغة: مشتقة من كلمة خرج وهي نقيض الدخول، وخَرَجَ، يَخْرُجُ خُرُوجًا، وَمَخْرَجًا فهو خَارِجُ، وَخَرّاج، والخوارج من أهل الأهواء، لهم مقالة على حدة سموا به لخروجهم عن الناس، ويطلق عليهم الحرورية، والخارجية هي طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس[61].

-اصطلاحا: اختلف المؤرخون في تعريف الخوارج، فمنهم من يرى بأنهم كل من خرج الإمام علي بن أبي طالب سواء في أيام الصحابة في عصر الخلافة الراشدة أو في عصر الذي أتى من بعده في عصر التابعين، ويتفق علماء الشريعة على إطلاق إسم بُغاة عليهم[62].

---

[59] محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، بيروت، ط5، ص2011، 109. مصطفى بن محمد بن مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق الإسلامية**، ص 42

[60] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص262.عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1993، ص265

[61] الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص451. ابن منظور، **لسان العرب**، ج14، دار صادر، بيروت، ص1126.

[62] عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص215.

ومنهم من يطلق التعريف على العموم إذ يرى بأنه كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا[63].

وذكر الفقيه أبو الحسن الأشعري بأن الخوارج سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه[64]، ومن الناحية التاريخية فقد ظهرت الخوارج مع فرقة الشيعة؛ وظهر كلاهما كفرقة في عهد خلافة الإمام علي بن أبي طالب، على الرغم من أن الشيعة كفكرة كانت أسبق أي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم[65].

مما سبق ذكره يتضح بأن الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب بعد معركتي صفين، والنهروان، ومن انتمى إليهم فيما بعد، أي من خرجوا في أواخر عصر الخلافة الراشدة، وما بعده.

ولقد أطلق عليهم العديد من الأسماء منها الحرورية[66]، النواصب[67]، الشراة[68]، والمحكمة[69]...الخ، وهي على عدة فرق منها: النجدات، الأزارقة، والعجاردة، والصفرية والإباضية، وكل فرقة من هذه الفرق لها فقهاؤها، وأراؤها، وأفكارها الخاصة التي تميزها

---

[63] الشهرستاني(أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أحمد)، **الملل والنحل**، تقديم صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط2، 2002، ص92.

[64] أبوحسن الأشعري(علي بن إسماعيل)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**،ج1، تحقيق محمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992، ص156.

[65] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص56.

[66] نسبة إلى حروراء، وهي قرية بظاهر الكوفة، وقيل مكان على بعد ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فنسبوا إليها، وبها كان أول تحكيمهم، واجتماعهم حين خالفوا عليه. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 245.

[67] وهي جمع ناصبي أي الغالي في بغض الإمام علي. عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص216.

[68] جمع شارٍ، وهم الذين يرون أنفسهم بأنهم هم المقصودون في قوله تعالى " إِنّ الله اِشْتَرَى مِنْ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجنَّةَ فَيَقْتُلُونَ وَيُـــقْـــتَلُونَ" –سورة التوبة/ الآية112، ويطلق غيرهم عليهم الشراة بمعنى من شرى الشر إذا إستطار وزاد وتفاقم. نفسه.

[69] وهذا نسبة للشعار الذي أطلقه الخوارج بعد قبول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتحكيم، وهو : " لا حكم إلا لله، ولا حكم للرجال" .محمد أبو زهرة ، المرجع السابق، ص 56.

عن الفرق الأخرى[70]، وتختلف حدة الخلاف بينها وبين أهل السنة الجماعة من فرقة إلى أخرى، لكن أبرز الآراء التي يتفقون عليها هي[71] :

- الخليفة لا يكون بانتخاب حر صحيح، ويجوز أن يقوم به عامة الناس، ولا يعزل الخليفة إلا إذا حاد عن العدل والشرع على حد زعمهم.
- ليس شرطا بأن يكون الخليفة عربيا، أو تحصر في بيت من بيوت العرب؛ فليست الخلافة من قريش، والجميع فيها سواء، بل يفضلون بأن يكون الخليفة غير قرشي حتى يسهل عزله أو قتله إن خالف الشرع، حتى لا تكون له عصبية تحميه، وعلى هذا الأساس عينوا عبد الله بن وهب الراسبي وأمروه عليهم ، وأطلقوا عليه لقب أمير المؤمنين.
- تكفير أهل الذنوب ، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب، حتى أنهم أعتبروا بأن الخطأ في الرأي ذنب إذا أدى إلى مخالفة وجه الصواب في نظرهم، لهذا كفروا علي رضي الله عنه بالتحكيم.

ويرى الباحث عبد المنعم الحنفي بأن الخوارج كلها اجتمعت على أمرين وهما[72]:

أ)-إكفارهم لعلي بن أبي طالب،وعثمان بن عفان، وأصحاب الجمل، والحَكَمين رضوان الله عنهم، وكل من رضي بهم.

ب)-قولهم إن كل من أذنب ذنبا من المسلمين فهو كافر، ويكون في النار خالدا مخلدا، لكن فرقة النجدات ترى بأن الفاسق كافر على معنى أنه كافر بنعمة ربه.

ولقد استطاعت فرقتين من فرق الخوارج أن تنتشر في الغرب الإسلامي، إذ انتقل بعض دعاتها من المشرق إلى المغرب، واستطاعوا أن يجدوا الأتباع والمساندين والمناصرين، بل تمكنوا من تأسيس دويلات بها، ومنها الفرقة الإباضية التي أسست أول إمارة خارجية في طرابلس ثم انتقل دعاتها إلى المغرب الأوسط وأسسوا بها الدولة الرستمية.

---

[70] للزيادة والتوسع في أفكار هذه الفرق، والاختلاف الذي بينها في العقائد والآراء يرجع إلى: الشهرستاني، المصدر السابق، ص93 وما بعدها. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص69 وما بعدها. عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص219.

[71] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص61.

[72] ينظر: عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص215.

وأما الفرقة الثانية فهي الصُفرية التي استطاع دعاتها الوافدين من المشرق أن يؤسسوا دولة في المغرب الأقصى عرفت بالدولة المدرارية، وفيما يلي سنتحدث عن ظروف وحيثيات انتقال المد الخارجي من المشرق إلى الغرب الإسلامي.

أ)- انتقال المذهب الصفري إلى الغرب الإسلامي:

بعد فشل حركات الخوارج في تأسيس دول لهم في المشرق أمام ضربات الأمويين الحاسمة، خاصة ضد فرقتي النجدات والأزارقة اللتان اندثرتا قبل نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، لجأ دعاة كل من فرقتي الصفرية والإباضية إلى وسائل أكثر نجاعة وفعالية، وتحقيق فيما فشلت فيه الفرق الأخرى؛ فاستخدمتا الدعوة السرية، والهجرة والانتشار في ربوع بلاد الإسلامية؛ بحيث تكون البلاد الجديدة التي ستبث فيها أفكار هاتين الفرقتين بعيدة عن مركز الخلافة في المشرق حتى تتفادى الصدام المباشر، زيادة على البحث على المناطق التي تكون متذمرة من سياسية الخلفاء السنيين وعمالهم في الولايات؛ فلم تجد هذه العوامل متوفرة إلا في بلاد المغرب الإسلامي نظرا لطبيعة المجتمع الذي لا يخضع بسهولة.

وينسب المذهب الخارجي الصفري إلى أتباع زياد بن الأصفر الذين لا يختلفون كثيرا في عقائدهم عن الأزارقة، وهم الأقل تطرفا منهم[73]، وتذكر الروايات التاريخية بأن أول داعية صفري حل بالمغرب قادما من أرض البصرة بالمشرق هو عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس(ت105ه/723م)؛ إذ وفد بالقيروان على بعير يتداوله مع داعية إباضي آخر هو سلمة بن سعيد، وكل واحد منهما كانا يدعوا بمذهبه، وكان هذا خلال الخمس سنوات الأولى في

[73] وقد خالفت الصفرية الأزارقة، والنجدات، والإباضية في عدة مسائل من بينها: في مسألة مرتكب الكبيرة إذ يعتبره الأزارقة مشركا مخلدا في النار، بينما ترى الصفرية بأنه غير مشرك، وترى الصفرية بأن الذنوب التي فيها حد لا يسمى صاحبها بأنه فعل كبيرة كالزنا، والسرقة، والتي ليس فيها حد كتارك الصلاة، والفرار من الزحف فإنه يكفر مرتكبها، ولم يكفروا القعدة عن القتال، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين، ولم يسقطوا حد الرجم مثل الأزارقة، ومن بين آراؤهم أنهم أجازوا التقية في القول دون العمل، وأجازوا تزويج المسلمات من الكفار تقية ...الخ.ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص110. محمد أبوزهرة، المرجع السابق، ص 72.

مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن للميلاد بحسب تقدير المؤرخ محمود إسماعيل عبد الرزاق[74].

ولقد شهد المغرب الإسلامي بالتزامن مع وفود دعاة الخوارج من المشرق العديد من الثورات عرفت في الأدبيات التاريخية بثورات الخوارج التي تبناها البربر الناقمين على سياسة عمال الولايات؛ فكانت أول ثورة بربرية خارجية بقيادة ميسرة المطغري سنة 122ه/ 740م، وهو زعيم بربري من مطغرة(مضغرة مدغورة) كان يحترف السقاية في أسواق القيروان، وتصفه المصادر الخارجية على أنه كان وجيها في قومه ومن ذوي الصلاح، والتقوى والعلم، بينما تذكره المصادر السنية بالحقير، أو الفقير لاتخاذه السقاية[75]، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه كان وجيها في قومه، واستطاع أن يقود الصفرية، ومن تبعهم من البربر في معركتهم ضد والي المغرب عبيد الله بن الحبحاب(116-123ه/734-741م)[76]، إذ تسلط عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي على البربر بفرض الضرائب والجزية عليهم، وقد استغل ميسرة خروج حبيب بن أبي عبدة قائد قوات الوالي ابن الحبحاب إلى صقلية وأعلن عصيانه، وتحالفت معه القبائل المحلية كبرغواطة، وغمارة ، ومكناسة، وعينوه إماما عليهم، وبدأ حملته بمواجهة مع عمر بن عبد الله المرادي حاكم طنجة وما ولاها، واستطاع الانتصار عليه وقتله، وسقطت طنجة تحت قبضته؛ فعين عليها عبد الأعلى

---

[74] محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985، ص ص 46-47.

[75] الرقيق القيراوني(أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص67. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص52. عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق ص136. موسى لقبال، المرجع السابق، ص 183.

[76] كان واليا على مصر، نقله الخليفة هشام بن عبد الملك إلى افريقية؛ ومن أهم أعماله أنه اتخذ بتونس دار لصناعة المراكب البحرية، وأنشأ الجامع الأعظم بتونس(جامع الزيتونة)سنة 116ه/734م، وقسم المغرب الأقصى إلى قسمين: قسم السوس الأدنى الذي يضم طنجة وماولاها، وعهده إلى ابنه إسماعيل ثم إلى عمر بن عبد الله المرادي، وقسم آخر يضم السوس الأقصى، وأرض السودان، وشاع في السوس الأقصى الفوضى والتمرد فعين عليه حبيب بن أبي عبد الفهري سنة 116ه/735م الذي استطاع أن يخضع القبائل، وتنظيم ولايته. يرجع: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 66. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 51. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص192. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق ص 134.

ابن حديج الافريقي الرومي الأصل ثم زحف ميسرة الى السوس الأدنى؛ فالتقى عاملها إسماعيل بن الحبحاب؛ فدخل معه في قتال شديد انتهت بهزيمة إسماعيل ومقتله[77].

وعلى إثر هذه الانتصارات التي حققها ميسرة قام الوالي ابن الحبحاب باستدعاء قائده حبيب بن أبي عبدة الفهري من صقلية، كما أرسل قواته بالقيروان تحت قيادة خالد بن حبيب الفهري بغرض وقف زحف المتمردين نحو القيروان، واستطاعت قوات خالد بن حبيب أن تشل تقدم أصحاب ميسرة في موقعة جرت قرب وادي الشلف، وهو ما أدى بميسرة إلى التراجع، وانسحب بقواته عائدا إلى طنجة، الأمر الذي أنكره البربر على ميسرة؛ فعزلوه، وقتلوه، وعينوا أميرا جديدا عليهم هو خالد بن حميد الزناتي، وكان خالد بن حبيب الفهري يريد ان يسترجع مدينة طنجة فدخل في قتال شديد مع البربر المتمردين بقيادة خالد بن حميد الزناتي، انتهى باستشهاد خالد بن حبيب ومعظم جنده من أشراف العرب عرفت في المصادر التاريخية بواقعة الأشراف، أو غزوة الأشراف[78]، وبعد أن اختلت الأمور على ابن الحبحاب، اجتمع الناس لعزله، وبلغ هذا الخبر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فقال: " والله لأغضبن لهم عربية ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي" ثم كتب لابن الحبحاب بالقدوم إليه، ثم عين الخليفة كلثوم بن عياض القشيري(123ه/741م) واليا على افريقية وكلفه بالقضاء على حركة الخوارج، وعلى الرغم من جهز جيشا ضخما قوامه اثنا عشر ألف مقاتل من عرب الشام، ومن عمال مصر،وبرقة ،وطرابلس إلا أنه فشل في القضاء عليها[79].

ولم يتمكن ولاة المغرب القضاء على شوكة الخوارج الصفرية إلا الوالي حنظلة بن صفوان(124-126 ه/742-744م) الذي كان واليا على مصر وكلفه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بولاية افريقية للإنتقام من الصفرية؛ فدخل حنظلة القيروان سنة 124ه/742م، وجهز جيشا للقضاء على الخوارج الصفرية الذين هددوا عاصمة الولاية، وكانوا قد اجتمعوا بالزاب تحت قيادة زعيمين لهما هما: عكاشة بن العرب الفراري، وعبد الواحد بن يزيد الهواري، وزحفت جيوشهما نحو القيروان، فسلك عكاشة طريق مجانة، بينما اتخذ عبد

---

[77] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص67. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص52.

[78] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص68. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 53-54.

[79] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص65. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 54.

الواحد الهواري طريق الجبال؛ فنزل موضع يقال له بطساس، فرأى حنظلة بأن يهاجم قوات عكاشة أولا قبل أن يجتمعا عليه، فزحف إليه حتى التقى به في موضع القرن، وجرى بينهم قتال شديد انتهى بهزيمة عكاشة ومن معه[80].

بعد هذا الانتصار توجه حنظلة إلى القيروان فجهز جيشه، واستعد لمواجهة عبد الواحد الهواري الذي انضمت إليه جموع كثيرة من الخوارج بلغت الثلاثمائة ألف أو تزيد ، واجتمعا الطرفان في موضع الأصنام على بعد ثلاث أميال من القيروان حيث جرت معركة شديدة اسفرت عن انتصار حنظلة بن صفوان، ومقتل زعيم الصفرية عبد الواحد الهواري، وتحطيم معظم قواته حيث بلغ عدد القتلى مائة وثمانين ألفا، ولاحق جيش حنظلة بعض الفارين وتمكنوا من إلقاء القبض على عكاشة الذي اقتيد إلى حنظلة فقتله[81].

مما سبق ذكره حول ثورات الخوارج ما هي إلا بعض النماذج لتلك المعارك التي شارك فيها البربر مع قادة المذهب الصفري، لكن المعركة الحاسمة هي معركة الأصنام القريبة من القيروان التي أنهزم فيها الصفرية وكسرت شوكتهم بفضل الوالي حنظلة بن صفوان(124-126 ه/742-744م)[82]، مما أدى بمن بقي من الصفرية حيا الهروب نحو الغرب، والصحراء؛ فعمل هؤلاء على نشر المذهب الصفري، واستطاعوا في الأخير أن يؤسسوا دولتين في المغرب الأقصى وهي: الدولة المدرارية[83] في سجلماسة(140-347ه/ 577-958م)، ودولة برغواطة[84] التي قامت بين سلا وآسفي على الشواطئ المطلة على الأطلسي

---

[80] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 69 . ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 58.

[81] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 69 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 58-59. الناصر السلاوي(أحمد بن خالد)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،ج1، ص 51.

[82] كان واليا على مصر قبل أن يكلفه الخليفة هشام بن عبد الملك بولاية افريقية للانتقام من مقتل الوالي كلثوم بن عياض من قبل البربر والخوارج.الرقيق القيراوني، المصدر السابق،ص69. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[83] نسبة إلى بني مدرار إحدى قبائل مكناسة، وينتهي نسبهم إلى البربر البتر، وهم بنو مادغيس الأبتر. ينظر: الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 59.

[84] يعود أصل برغواطة إلى قبائل البرانس البربرية، وينسبون إلى شيخهم طريف أبو صبيح، وهو أحد القواد الذين شاركوا مع ميسرة المطغري زعيم الحركة الصفرية بالمغرب، ولما قتل ميسرة وانهزمت الصفرية في آخر حروبها مع ولاة المغرب انحاز إلى قومه، قائما على أمرهم بتامسنا إلى أن توفي سنة 127ه/745م، ويقال بأنه ادعى النبوة، وشرع لهم الشرائع، وخلفه ابنه صالح (127-174ه/ 745-791م) الذي أسس دولة برغواطة المعروفة. نفسه، ج1، ص 170. أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 135.

قبل أن تخرج من المذهب الصفري وتتبنى عقيدة سميت بإسمها –العقيدة البرغواطية- وهي خليطة بين المذاهب السنية والخارجية، متأثرة بالديانة اليهودية[85].

ب)- انتقال المذهب الإباضي إلى الغرب الإسلامي:

ينتسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض التميمي أحد فقهاء المذهب، ويرتبط ظهور هذا المذهب ببداية النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، ومن أبرز أئمة المذهب التابعي جابر بن زيد (عاش بين 21-93ه/642-712م)الذي كان يبث دعاة المذهب من مركزه بالبصرة إلى مختلف بلاد المسلمين[86].

ويعد سلمة بن سعد أول داعية إباضي وفد إلى المغرب الإسلامي؛ إذ بدأ يبث آراء المذهب الفقهية بإفريقية، وكان يجمع بعض الطلبة من جهات مختلفة؛ فيكون منهم بعثة يشرف على سفرهم إلى البصرة التي كانت موطن فقهاء المذهب، وكان عددهم خمسة، وسموا فيما بعد ب:"حملة العلم إلى إفريقية"، وهم : عبد الرحمن بن رستم، عاصم بن جميل السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وأبوداوود النفزاوي ، وبعد أن رجعت هذه البعثة من البصرة بعد تلقيها تعاليم وفقه المذهب، أقام هؤلاء بطرابلس التي أصبحت مركزا ودار الإفتاء لأصحاب وتابعي المذهب الإباضي بالمغرب الإسلامي، وبايعوا أشهرهم أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح إماما لهم، ورئيسا سياسيا لحركتهم؛ فرتب شؤون الطائفة، وأقام نظاما سياسيا دينيا في طرابلس ثم في افريقية كلها؛ فعين درار الغدامسي قاضيا للطائفة، وعبد الرحمن بن رستم عاملا على سرت ثم على القيروان، وكلف ابن يمكتن بقيادة الجيش ضد المخالفين وضد عمال العباسيين بإفريقية[87].

وبعد أن وقعت القيروان في قبضة الصفرية ثم الاباضية توجه بعض عرب القيروان إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يستنجدونه فعين والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي على ولاية إفريقية والمغرب وكلفه بالخروج بنفسه لاستعادة القيروان من قبضة رأس الإباضية أبي الخطاب بن السمح؛ فخرج في جيش قُدر بأربعين ألف مقاتل ضم ثمانية وعشرون قائدا

---

[85] وفاء يعقوب جبريل برناوى، **دولة بني مدرار الصُفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضارية (140-347ه/ 577-958م)**، "رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003، ص24.

[86] موسى لقبال، المرجع السابق، ص190.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص104.

[87] نفسه، ص ص 191-192.

حربيا منهم الأغلب بن سالم، والمخارق بن غفار الطائي، وفي المقابل جمع أبو الخطاب جيش ضخم حتى قيل بأنه بلغ حدود مائتي ألف مقاتل، الذي سرعان ما دب الخلاف في وسطه بين زناتة وهوارة ، إذ اتهمت قبائل زناتة ميل وإنحياز أبي الخطاب لقبائل هوارة؛ فانسحبوا من جيشه، ورجعوا إلى أوطانهم، وهو الأمر الذي استغله محمد بن الأشعث فزحف إليه، ودخل معه في قتال شديد في 144ه/761م، انتهى بانتصاره، وقتل أبي الخطاب فأرسل ابن الاشعب رأس أبي الخطاب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، ثم خرج عليه في ربيع الأول من سنة 144ه/761م بعض أصحاب أبي الخطاب وهو أبو هريرة الزناتي في جيش تعداده ستة عشر ألف مقاتل، فهزمه ابن الأشعث[88].

ولما علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام ابي الخطاب ومقتله خرج من القيروان وفر إلى المغرب الأوسط؛ فأسس دولته الإباضية –الدولة الرستمية- التي انتسبت إليه بتيهرت[89]، ودام عمرها قرن وستة وثلاثون سنة(160-296ه/776-908م)، ولقد بقيت تاهرت عاصمة سياسية للرستميين إلى أن سقطت في يد العبيديين الشيعة سنة 296ه/909م.

II)-دخول المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب الإسلامي:

جاء تعريف الشيعة في كتب الفرق والمذاهب بأنهم : " هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده."[90]

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ بداية ظهور الشيعة بدقة، إلا أنها تعد أقدم الفرق الإسلامية، فقد ظهرت بشكل واضح في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، واشتد أمرهم أكثر في عصر الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن الظهور الفعلي والواضح للشيعة كان بعد معركة صفين سنة 37ه/ 657م ومقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم[91].

---

[88] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص72. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص159.

[89] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص71. محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296ه)**، ط3، دار القلم، الكويت 1987، ص83 وما بعدها.

[90] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 118.

[91] يرى بعض المؤرخين بأن أول ظهور للشيعة كان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 11ه/632م في اجتماع الصحابة لتعيين خليفة رسول الله، وقد رأى بعض الصحابة أن تبقى الخلافة في بيت قريش ومن بني هاشم بالذات فتم اقتراح علي بن

ولقد تفرقت الشيعة إلى عدة فرق منها على سبيل المثال: السبئية، الزيدية، الإثنا عشرية، والإسماعيلية...الخ.

واستطاعت الفرقة الإسماعيلية[92] التغلغل والوصول إلى المغرب الإسلامي وتأسيس الدولة العبيدية في إفريقية قبل انتقالها إلى مصر دامت فترة وجودها في افريقية بين سنتي(296-361ه/909-972م).

ولقد انتقلت الشيعة الإسماعيلية إلى المغرب الإسلامي عندما كلف الداعي الإسماعيلي في اليمن؛ أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب الكوفي تلميذه أبا عبد الله الشيعي[93] لنشر الدعوة الإسماعيلية الباطنية ببلاد المغرب سنة 288ه/901م؛ فاستغل أبو عبد الله الشيعي فترة الحج، وقدم إلى مكة، وسأل عن حجاج المغرب الكتاميين؛ فدلوه إليهم، واجتمع بهم، ولما تحادثوا معه حول فضائل أهل البيت وجدوا ما لديه من المعلومات التي جعلتهم يتأثرون به، ويأنسون

أبي طالب رضي الله عنه، ولكن اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة خرج باختيار أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرى بأن أول ظهور للشيعة كان بعد معركة الجمل في حرب علي بن ابي طالب مع طلحة والزبير، فمن كان مع علي سموا بالشيعة، ويرى بعض المؤرخين بأن الشيعة ظهرت في معركة صفين 37ه/657م، وهناك من يرى بعد ذلك بسنوات أي في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(60-64ه/680-683م) بعد معركة كربلاء حيث قتل الحسين بن علي بن أبي طالب سنة 61ه/680م. ابن النديم(أبو الفرج محمد إسحاق)، **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ص217. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص22. غالب بن علي عواج، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**،ج1، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط2، 2001، ص310.

[92] تنتسب هذه الفرقة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر(ت 143ه/760م)، أحد أئمة الشيعة، تميزت هذه الفرقة عن فرقة الإثنا عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه، والاثنا عشرية تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم، وقد اختلف المؤرخون حول وفاة إسماعيل بن جعفر فمنهم من يقول بأنه توفي في حياة أبيه، ومنهم من يقول بأن أباه زعم أنه توفي خوفا عليه من أن يطلبه العباسيون، كما زعم أصحاب هذه الفرقة بأن إسماعيل هذا " لن يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس"، وقد قُسم أقطاب الفرقة الإسماعيلية إلى أئمة متخفين، ودعاة ظاهرين؛ فأما الأئمة المتخفين نذكر منهم إسماعيل الذي تنتسب إليه الفرقة، وابنه محمد، وأما الدعاة فمنهم أبي عبد الله الشيعي، والأئمة عندهم سبعة، والنقباء اثني عشر، والدعاة ثلاثة...الخ. الشهرستاني، المصدر السابق، ص ص153-154. ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)، المصدر السابق، ج4، ص39. ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص155.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص311.

[93] هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، يلقب بالمعلم، أصله من صنعاء باليمن، وقيل بان أصله من الكوفة، وهو أحد أعيان الباطنية، قتل من طرف عبيد الله المهدي الشيعي سنة 298ه/911م. القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية تونس، الجزائر، ط2، 1986، ص 30 وما بعدها. ابن خلكان، المصدر السابق م2، بيروت، ص ص192-193. ابن خلدون المصدر السابق، ج4، ص ص 41-42. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج2، ص230.

لحديثه، وفي طريق عودتهم من الحج سألوه عن مقصده؛ فقال لهم أنه يريد الذهاب إلى مصر من اجل التعليم، فعرضوا عليه أن يرافقهم إلى المغرب؛ فقبل، وفي الطريق أخذ فكرة عن المنطقة، وأهلها، وعشائرها، ولما وصل بلاد المغرب اختار جبل إيكجان بأرض كتامة لبث دعوته، واجتمع عنده قبائل البربر الذين انضموا إلى دعوته للمهدي الذي لم يسميه، ثم نزل بمدينة تاصروت؛ فقاتل من لم تبعه، ولما بلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أرسل هذا الأخير إلى عامله بميلة يسأله عن أمره، فحقره، وذكر بأنه رجل يلبس الخشن، ويأمر بالعبادة والخير، فأعرض عنه، وعظم شأن أبا عبد الله الشيعي الذي استطاع أن يستولي على ميلة، وتيهرت، ثم رقادة التي دخلها سنة 293ه/905م، ولما سمع أبو عبد الله زيادة الله خبر انتصارات الشيعي فر إلى طرابلس، ثم إلى المشرق، واستولى أبو عبد الله على القيروان[94].

وكان أبو عبد الله الشيعي قد أرسل في سنة 291ه/904م رجالا من كتامة إلى الإمام الشيعي عبيد الله يخبرونه بنجاح الدعوة، ويحثونه للقدوم إلى المغرب لتسلم حكم الدولة الشيعية، وكان عبيد الله الشيعي في هذه الفترة يقيم متخفيا ببلدة سلمية من أعمال حمص؛ فلما أتته أخبار انتصارات أبي عبد الله الشيعي قصد المغرب متنكرا بزي التجار حتى لا يقع في يد العباسيين الذي كانوا يتعقبونه، فقصد الشام، ثم فلسطين، ومصر، ولما حل بافريقية وجد أن الأغالبة مازالوا يحكمون، وأن أبا عبد الله الشيعي مازال في حروب معهم؛ فقصد الغرب نحو سجلماسة، حيث ألقي عليه القبض فيها بوشاية من اليهود، واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يخلصه من السجن بالقوة، واصطحبه معه إلى مدينة رقادة حيث بويع له بالخلافة في شهر ربيع الآخر سنة 297ه/جانفي سنة 910م، وتلقب بالمهدي، وكتب إلى جميع البلاد؛ فأخذ البيعة، وأمر الخطباء أن يذكروا اسمه على المنابر، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من حكام المغرب[95]، وفي هذه السنة سقطت العديد من دول المغرب كالدولة الأغلبية في المغرب الأدنى، والدولة الرستمية في المغرب الأوسط، والدولة المدرارية في جنوب المغرب الأقصى.

---

[94] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق، ج1،134 وما بعدها. ابن خلدون،المصدر السابق،ج4، ص ص263 -264.

[95] ابن الأثير، المصدر السابق، م6، ص 446وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1،153 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، ص ص 229-230.

III)-المذهب المالكي وسيادته في الغرب الإسلامي :

أ)-التعريف بالمذهب المالكي: ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي الذي عاش بين سنتي(93-179ه/ 711-795م)[96]، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وقد نشأ هذا المذهب بالمدينة المنورة التي ولد وتوفي بها الإمام مالك حتى اشتهر بعالم المدينة ثم انتشر تدريجيا في بعض البلاد من العالم الإسلامي[97].

وتقوم أصول المذهب المالكي على الكتاب ثم السنة، زيادة على فتاوى الصحابة- رضوان الله عنهم- وأقضيتهم، وعمل أهل المدينة، ثم القياس، والمصلحة وسد الذرائع، والعرف والعادات[98]، ويصنف أئمة وفقهاء المذهب المالكي في صنف أصحاب الحديث، فأصناف المجتهدين محصورين في صنفين: أصحاب الحديث مثل المذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والحنبلي، والظاهري وغيرهم، والصنف الثاني، وهم أصحاب الرأي، وعلى رأسهم أصحاب المذهب الحنفي، وأطلق عليهم أصحاب الرأي لأن أكثر عنايتهم بتحصيل وجه للقياس، والمعنى المستنبط من الأحكام وبناء الحوادث عليها[99].

ب)- عوامل انتشار وسيادة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي:

انتشر المذهب المالكي في الحجاز، والبصرة، ومصر وما والاها من بلاد افريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى إلى بلاد السودان، وعلى الرغم من ظهوره ببغداد، والبصرة إلا أنه ضعف انتشاره فيما بعد، كما انتشر في بلاد خراسان، وبنيسابور، وبلاد فارس، واليمن، وبلاد الشام[100].

---

[96] يكنى: أبو عبد الله، ولد، وتوفي في المدينة المنورة، كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، كانت له محنة مع في العصر العباسي، إذ وشي به إلى الخليفة أبي جعفر المنصور؛ فضربه بالسوط، وأما الخليفة هارون الرشيد فقد بجله، وطلبه ذات مرة فرد عليه الإمام مالك: العلم يؤتى؛ فقصده الرشيد في بيته وجلس بين يديه يحدثه، من مؤلفات الإمام مالك غير الموطأ رسالة في الوعظ، وكتاب في المسائل، ورسالة في الرد على القدرية، وكتاب في النجوم، وآخر في تفسير غريب القرآن. ابن فرحون المالكي (إبراهيم بن علي)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج1،، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ص 133. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 257.

[97] أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص 64.

[98] للتفصيل في هذه الأصول ينظر: محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 397 وما بعدها.

[99] الشهرستاني، المصدر السابق، ص ص 166-167.

[100] القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفةأعلام مذهب** مالك،ج1، تحقيق ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، ص 65.

وأما انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي؛ فالملفت للانتباه بأنه انتشر مبكرا بالأندلس قبل المغرب بقليل، وقد ارتبط انتشاره في الأندلس بتولي الأمير هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل(172–180ه/788-796م)، وهذا لعدة عوامل أهمها:

1) - وفود الطبقة الأولى ممن لقوا الإمام مالك إلى الأندلس، وتتضمن تلك الطبقة الفقيه زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت183ه/799م)، والغازي بن قيس(ت199ه/814م)، وقرعوس بن العباس(ت220ه/835م)[101]،فنشروا مذهب الإمام مالك[102]،ويذكر الحميدي، والمقري بأن زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون هو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس مكملاً متقناً ، فأخذ عنه يحيى بن يحيى الليثي(ت234ه /848م) ثم أشار زياد على يحيى بالرحيل إلى مالك والسماع منه مباشرة، فرحل وأخذ عنه، وكان انتشار المذهب به، وبزياد، وبعيسى بن دينار(ت212ه/827م)[103]، وغيرهم ممن ذكروا سابقاً .

2) - شخصية الأمير هشام عبد الرحمن بن معاوية في حد ذاتها ، إذ عرف أنه كان رجلاً متدينًا شديد التقى يشبه بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(99-101ه/717-720م) في عدله وورعه ، كما تشابهت أخلاقه بأخلاق الفقهاء إلى درجة أنه سمي بالأمير الفقيه ، ولما وصف الفقيه الأندلسي زياد بن عبد الرحمن فضائل الأمير هشام لدى الإمام مالك بن أنس دعا الإمام مالك بدعائه المشهور:" نسأل الله تعالى أن يزين موسمنا بمثل هذا" ، اعجابًا لعدل الأمير وسيرته ، ولما بلغ قول مالك إلى مسامع الأمير هشام ، حمل هذا الأخير الناس على مذهب الإمام مالك ، وترك المذهب الأوزاعي [104].

وكان لفقهاء المالكية دور في تثبيت ملك هشام بن عبد الرحمن الداخل بوقوفهم معه ضد أخيه سليمان(ت 184ه/ 800م) بعد وفاة أبيهما عبد الرحمن الداخل ، واجتمعت كلمة الفقهاء عليه لعلو كعبه في العلم والأدب وحسن السيرة عكس أخيه سليمان الذي كان

---

[101] قرطبي، يكنى بأبي الفضل، أو بأبي محمد، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الإمام مالك وغيره من العلماء، واختص بعلم المسائل على مذهب الإمام مالك، روى عنه بعض فقهاء الأندلس منهم عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) وغيره. ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص ص 372– 373. الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 595.

[102] الحميدي، المصدر السابق، ص ص218-219. الضبي، المصدر السابق، ج2، ص372. أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص 64.

[103] الحميدي، المصدر السابق، ص218. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص215.

[104] نفسه، ج1، ص263. حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ب)، ص9. أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص66 .

بطبعه رجل حرب أكثر منه رجل علم ، فمال عنه الشيوخ ، وصوروه في صورة رجل جاهل [105].

3)- السبب الآخر لانتشار المذهب المالكي في الأندلس ما قدمه ابن خلدون من تبرير بذكر أن هدف العلماء الأندلسيين في رحلاتهم العلمية كانت المدينة المنورة وهي منتهى سفرهم ، وهي دار العلم ، ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة ، وكان شيخهم يومئذ الإمام مالك فقلدوه دون غيره هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ربط عامل آخر له علاقة بانتشار المذهب وهو عامل البداوة الذي حسبه يغلب على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعنون بالحضارة التي هي بأرض العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل من خلال مظهر البداوة[106]، وربما يقصد ابن خلدون بالبداوة العصبية والبساطة وضعف التأثير اللغوي، وكأنه أراد القول بأن عادات وتقاليد أهل الأندلس متشابهة مع ما هو عند أهل الحجاز، وهو ما أدى بالأندلسيين إلى الأخذ بمذهب الإمام مالك إمام أهل المدينة والحجاز[107].

وأما ظهور المذهب المالكي في المغرب فيرجع الفضل فيه إلى جهود جيل من الفقهاء الأوائل الذين قاموا بالرحلة -سواء منها العلمية أو الحجية- إلى المشرق، وبالضبط إلى المدينة المنورة دار الإمام مالك وفقهه؛ فأخذوا العلم من الإمام مالك، ورجعوا إلى بلدانهم وهم يحملون ذلك العلم، وبالأخص كتابه الموطأ، فأسسوا مدرسة مالكية بالغرب الإسلامي، ومن بين هؤلاء الفقهاء الأوائل نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

-علي بن زياد العبسي التونسي(183ه/ 799م)، وهو أول من أدخل موطأ الإمام مالك للمغرب، ولم يكن في عصره أفقه منه، وكان معلم الإمام الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي[108].

-البهلول بن راشد(ت183ه/799م)، وهو من العلماء الزهاد، كانت له إلى المشرق سمع فيها من الإمام مالك، وبعد عودته إلى بلده نشر الفقه المالكي إسماعا وتأليفا، فقد سمع

---

[105] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص 215. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص7- 8 .

[106] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص954. أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص ص 66 -67 .

[107] خليل إبراهيم الكبيسي،**دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، دار البشائر الإسلامية،ط1، بيروت، 2004، ص54 .

[108] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص289.

عنه سحنون بن سعيد التنوخي، وروى عنه عبد الله بن مسلمة القعني، وألف البهلول كتاب في الفقه على مذهب الإمام مالك[109].

- أبوعلي شقران بن علي(ت186ه/802م)، الذي كان عالما بالحساب والفرائض إذ ألف كتابا في هذا العلم، روى عنه الإمام الفقيه سحنون بن سعيد[110].

وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ظهر رعيل من الفقهاء كان لهم الفضل في سيادة المذهب المالكي في افريقية والمغرب الإسلامي على الرغم من تبني الدولة الأغلبية(184-296ه/800-909م)[111] في ذلك العصر المذهب الحنفي، ومن أبرز هؤلاء الفقيه أسد بن الفرات(ت213ه/828م)، وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت240ه/854م)وغيرهما، حيث أصبحت القيروان مدرسة فقه الإمام مالك في ذلك العصر، وقبلة طلبة العلم المرتحلين إليها من حواضر المغرب والأندلس[112].

ويعد سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي الفقيه الأبرز الذي كان له الدور الكبير في سيادة المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، وكان قد سمع من تلاميذ الإمام مالك، ومنهم علماء افريقية كالفقيه علي بن زياد، والبهلول بن راشد، وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق؛ فسمع بمصر من الليث بن سعد(175ه/791م)، وعبد الرحمن بن

---

[109] أبو بكر المالكي(عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس**، ج1، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ص ص200-201. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص77.

[110] نفسه، ج3، ص 170. وللاستزادة أكثر عن فقهاء المذهب الأوائل الذي كان لهم نشره في افريقية والمغرب يرجع: نجم الدين الهنتاني، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي**، دار تبر الزمان، تونس، 2004، ص 37 وما بعدها.

[111] ظهرت هذه الدولة بإفريقية وكان مؤسسها إبراهيم بن الأغلب الذي كان قد تقلد ولاية افريقية منذ سنة 184ه/800م بعهد من الخليفة العباسي هارون الرشيد، وبتولي إبراهيم بن الأغلب دخلت ولاية افريقية مرحلة جديدة سميت تاريخيا بدولة الأغالبة؛ إذ استقلت استقلالا ذاتيا عن الخلافة العباسية بموافقة الخلفاء العباسيين أنفسهم، وأما الوالي المؤسس لهذه الدولة إبراهيم فقد كان من الحكام المثقفين: فقيها، دينا، أديبا، شاعرا، خطيبا، وكان محمود السيرة في حكمه، وابتنى مدينة العباسية –نسبة إليه- بالقرب من القيروان، وانتقل إليها، وبها توفي. الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص127 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص ص92 وما بعدها. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60. ابن الأثير(علي بن أبي الكرم)، **الكامل في التاريخ**، ج5، تحقيق أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت،1987 ،ص ص313-314. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 33.

[112] بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2003، ص246 .

القاسم(ت191ه/806م)، وغيرهما، ثم قصد المدينة المنورة وسمع من تلاميذ الإمام مالك، ثم انتقل إلى الشام؛ فالكوفة، ثم نزل بمكة؛ فسمع من علمائها، وعاد إلى القيروان وجلس للتدريس والتأليف حيث أصبح مقصدا لطلبة العلم في فقه الإمام مالك، وألف المدونة في فروع المالكية عن عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك، وقام بتدريسها إسماعا وإملاءً لطلبته، وقد تولى القضاء في القيروان سنة 234ه/849م، وكان لا يهاب سلطانا في قول الحق، وبفضله غلب المذهب المالكي على افريقية والمغرب الإسلامي كله[113].

واستطاع الفقيه سحنون بن سعيد تكوين جيل من فقهاء المالكية بإفريقية تمكنوا في ترسيخ المذهب بالغرب الإسلامي ككل، ومن هؤلاء الفقهاء الأجلاء ابنه محمد بن سحنون عبد السلام (ت256هـ/870م)[114]، الذي تعلم على يد أبيه سحنون بن سعيد فقيه افريقية وعلماء بلده، ثم رحل إلى المشرق سنة 235هـ/849م فزار مصر، والحجاز، ولقي بعض علماء المدينة، وأدى فريضة الحج، ورجع إلى القيروان؛ فعكف على التأليف والتدريس بمنزله، وبجامع عقبة بن نافع بالقيروان، وقد ذاعت شهرته في حياة أبيه وكانت له حلقة غير حلقة أبيه، ووُصف بأنه كان وجيهاً عند العامة، مقدماً عند الملوك حتى قيل فيه بأنه لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه في الفقه، والحديث والتاريخ، والتراجم، والقضاء وآدابه حيث ألف فيها كتباً قيل بأنها بلغت نحو مائتي كتاباً ومن مؤلفاته: كتاب المسند، وكتاب التاريخ، وكتاب تفسير الموطأ، وكتاب الرد على أهل البدع ، وكتابه المشهور آداب المعلمين، وغيرها من المصنفات[115].

وأبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد الغساني(ت302ه/915م) صاحب سحنون بن سعيد التنوخي، مناظر قوي الحجة في علوم الدين واللغة، وتصدى لمحاربة

---

[113] أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص101. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص5.

[114] هو أبو عبد الله محمد بن سعيد سحنون بن حبيب التنوخي،كان إماماً ثقة ، عالماً بمذهب الإمام مالك ، ولد بالقيروان سنة 202هـ/817م. ينظر: المالكي ، المصدر السابق ، 443 وما بعدها . الخشني القروي(محمد بن الحارث)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 178 وما بعدها. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 204-205 .

[115] المالكي، المصدر السابق، 443 وما بعدها. الخشني القروي، المصدر السابق، 178 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص ص 204-205 .

أهل البدع والمخالفين للسنة، واشتهر كذلك بجدله ضد علماء الدولة العبيدية (الفاطمية) في بداية قيامها، وله في هذا الأمر تصانيف ومنها كتابه "المجالس" وهي مجموعة من المناظرات في مختلف العلوم، وغيره[116] .

وأما أبو محمد عبد الله المعروف بابن أبي زيد القيرواني (ت386ه/996م) أو كما يلقب في كتب التراجم والطبقات بمالك الصغير، سمع بإفريقية ثم رحل إلى المشرق فأجازه العلماء الذين درس عنهم ولما عاد إلى القيروان تفقه على يديه جلة من فقهاء المغرب والأندلس، وله مصنفات كثيرة في الفقه المالكي ومختلف العلوم خاصة منها الدينية والأدبية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتابه " النوادر"، وكتاب "المختصر للمدونة"، و"الرسالة"، و"الإقتداء"، وكتاب " الذب عن مذهب مالك ورسالته في رد السائل"، وغيرها من المؤلفات[117].

ويعد كتابه "الرسالة" المشهور بها (رسالة بن أبي زيد القيرواني) أكبر مؤلفاته التي ذاع صيتها في مذهب الإمام مالك مشرقا ومغربا، حيث بدأ رواجها بداية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والتي قال في حقها أحد العلماء المعاصرين: " فما أعلم كتابا في الفقه المالكي-بعد الموطأ والمدونة- حظى بمثل ماحظيت به "رسالة ابن أبي زيد" من قبول وعناية وشهرة وانتشار في الآفاق، وعمق أثر في خدمة المذهب، ونفع الأجيال من طلابه على إمتداد الزمان والمكان"[118] .

مما سبق ذكره يتضح جليا كيف ساد المذهب المالكي في افريقية والغرب الإسلامي عموما؛ إذ كان انتشاره وسيادته في الأندلس قبل المغرب وهذا لعدة عوامل كان من أهمها وأبرزها دور العامل السياسي؛ إذ أن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل هو الذي أمر بأن يكون المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للإمارة الأموية في الأندلس، وأما في المغرب فكان شيوعه وانتشاره وسيادته بفضل طلبة العلم المغاربة الذين ارتحلوا إلى

---

[116] ومن مؤلفاته كذلك:" توضيح المشكل في القرآن"، "معاني الأخبار"، "الأمالي"، "المقالات"، "الاستواء"، "عصمة النبيين"، وغيرها. الخشني،المصدر السابق، ص198 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 100.

[117] الدباغ(عبد الرحمن بن محمد)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج3، تعليق أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978، ، ص109.

[118] ابن أبي زيد القيرواني(أبو محمد عبد الله)، **رسالة ابن أبي زيد القيرواني(مالك الصغير)**، كتبها وحققها: أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2005، ص ص9-10.

المشرق، وعادوا إلى القيروان فعقدوا الحلقات العلمية الفقهية، وألفوا الكتب، فكونوا أجيالا من الفقهاء حاملي لواء أصول المذهب بالمغرب، وكان للفقيه والقاضي سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي دور كبير في ترسيخ المذهب لأبناء وطلبة المغرب، فزيادة على حلقاته الفقهية، وتأليفه للكتب في إطار المذهب، كان يحكم بما يقتضيه الفقه المالكي في مسائل القضاء على الرغم من تبني الدولة الأغلبية المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة مع المذهب المالكي، لكن شخصية الفقيه سحنون لعبت دورا كبيرا في سيادة المذهب المالكي على حساب المذهب الحنفي.

IV)- المذاهب السنية غير المالكية في الغرب الإسلامي:

أ)-المذهب الأوزاعي:ينسب إلى الفقيه الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي(ت 157هـ/774م)[119]، وقد دخل هذا المذهب وشاع في الأندلس دون المغرب، وأول من أدخله إلى الأندلس الفقيه صعصعة بن سلام (ت192هـ/808م) لما انتقل إلى الأندلس، وبتولي الأمير هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل(172–180ه/788-796م)الحكم غلب على الإمارة الأندلسية المذهب المالكي[120].

وكان الفقيه الأوزاعي صعصعة بن سلام الشامي(ت192هـ/807م)، تدور عليه الفتيا بالأندلس أيام عبد الرحمن بن معاوية، وصدرًا من أيام هشام بن عبد الرحمن، وعلى هذا المذهب كانت تقوم الدراسات الفقهية والمعاملات والتشريعات المختلفة[121]، وكان صعصعة

---

[119] يكنى بأبي عمرو، إمام الشام في الفقه والزهد، ولد في بعلبك سنة 88هـ/707م، وسكن ببيروت، وبها توفي سنة 157هـ/774م، عرض عليه القضاء فامتنع، من مؤلفاته كتاب السنن في الفقه، وكتاب المسائل، وأما كلمة الأوزاع فيرى ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1063م) بأنها تعني اسم لإحدى قبائل حمْير، ولا ينسب إليهم عبد الرحمن الأوزاعي ولكنه سكن بينهم فنسب إليهم، أما ابن خلكان شمس الدين(ت681هـ/1282م) فيقول بأنها تعني اسم لقبيلة من اليمن أو اسم قرية بدمشق، وأن عبد الرحمن الأوزاعي نزل فيها فنسب إليها، ويوافقه الحميري بن عبد المنعم(ت900هـ/1494م) في الرأي الأخير. ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، ط5، 1982، ص437. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3 ،128. الحميري(محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص63. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3 ص320. خليل إبراهيم الكبيسي، المرجع السابق،ص27 .

[120] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 55 . أحمد تيمور باشا ، المرجع السابق ، ص64 .

[121] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 203 – 204 .

بمثابة إمام وشيخ الأوزاعية في الأندلس، وانتفع من علمه وتتلمذ على يده طلبة العلم، وروى عنه الكثير[122].

ومن الذين تفقهوا بالمذهب الأوزاعي بالأندلس على سبيل المثال لا الحصر أسد بن عبد الرحمن السبئي(كان حيًّا150ه/767م) الذي روى عن الأوزاعي حتى قيل بأنه أول من أدخل المذهب إلى الأندلس[123]، وزهير بن مالك البلوي(ت قبل250ه/864م)[124].

ب)-المذهب الشافعي:

ينسب المذهب الشافعي للإمام لمحمد بن إدريس الشافعي(ت204ه/820م)[125] من الذين تفقهوا بالمذهب الشافعي في الأندلس قاسم بن سيار(ت277ه/890م)، الذي رحل إلى المشرق في أواسط القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، وأخذ عن كبار علماء الشافعية فلما عاد إلى الأندلس أخذ بنشر المذهب الشافعي عن طريق التدريس والتأليف، وتحلق به الطلبة، كما لقي التشجيع من الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(238-273ه/852-886م)، وعهد إليه منصب تحرير الوثائق وشروطه [126] واشتهر كذلك من فقهاء الشافعية بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) الذي انتصر له الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في وجه فقهاء المالكية لما تحالفوا ضده للحد من نشر علمه القائم على المذهب الشافعي وعاتبوه على ما أدخله إلـى الأندلس من كتب الاختـــلاف وغرائب الحديث، وأيده الأمير محمد، وسمح له

---

[122] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 204 .

[123] من أهل إلبيرة ،وولي قضائها. نفسه ، ق1 ، ص 74 . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 32 .

[124] قرطبي الأصل، يكنى بأبي كنانة. ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص153. الحميدي، المصدر السابق، ص221 .

[125] يكنى بأبي عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة 150ه/ 767م بغزة، وقيل بعسقلان بفلسطين، وقيل باليمن، وانتقل إلى مكة وهو ابن سنتين حيث نشأ بها وقرأ القرآن الكريم وبالمدينة المنورة، ثم رحل إلى بغداد مرتين، ثم إلى مصر وبها توفي، وإليه تنسب الشافعية، وكان مع ذلك شاعراً، عالماً بالقراءات واللغة وأيام العرب، ذكيا، أفتى وهو ابن عشرين سنة، وقال ابن حنبل في حقه ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي ومن مؤلفاته كتاب الأم في الفقه، والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه، وغيرهم. الفراء البغدادي(محمد بن أبي يعلى)، **طبقات الحنابلة**، ج2، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض، 1999، ص263 وما بعدها .تاج الدين السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن علي) ، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1976. عبد الرحيم الأسنوي(جمال الدين) **طبقات الشافعية**،تقديم كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987،ج1، ص18 وما بعدها. ابن خلكان، المصدر السابق ، ج4 ، ص 163 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 26 – 27 .

[126] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق 1، ص 355 وما بعدها. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 431 .

بنشر علمه، وتتلمذ على يده طلبة العلم في دراسة المذهب الشافعي، وكان من بينهم مثلاً صاحبه هارون بن النصر القرطبي (ت302هـ/914-915م)، وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد (ت934/319م)[127] وغيرهما، وكان ممن انفرد به بقي بن مخلد ولم يدخله سواه إلى الأندلس من المصنفات كتاب الفقه الكبير لمحمد بن إدريس الشافعي(ت204ه/820م)، وكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة(ت235ه/849م)[128] بتمامه وكماله، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط(ت240ه/854م)[129]، وكتابه في الطبقات، وكتاب سير عمر بن عبد العزيز رحمه الله للدورقي (ت252ه/866م)[130]، ولبقي بن مخلد كتب منها في تفسير القرآن، وكتابه المسند لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[131] .

ولقد وصلت الشافعية في عصر الخلافة إلى بيت الخليفة في حد ذاته، فقد اشتهر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر(قُتل339ه/951م)[132] بأنه كان فقيهًا شافعي المذهب[133]،

---

[127] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص ص 92 - 93 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 27 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ص 433 وما بعدها .

[128] هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي، يكنى بأبي بكر، محدث ثقة وصفه ابن حنبل بالصدوق، وكتابه هذا في الحديث والآثار يقع في خمسة أجزاء، وله كتب أخرى منها المسند في الحديث، الإيمان، وكتاب الزكاة. شمس الدين الذهبي(محمد بن أحمد)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ج2، ص16 . صلاح الدين الصفدي(خليل بن أيبك) ،**الوافي بالوفيات**، ج17، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000، ص ص237 – 238. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4 ، ص ص 117 – 118 .

[129] العُصْفُري البصري، يكنى بأبي عمرو، ويعرف بِشَبَاب، محدث، مؤرخ، ونسابة ، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ في خمسة أجزاء ، وكتاب الطبقات المذكور أعلاه في ثمانية أجزاء. شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص19 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ص 312.

[130] هو يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي، يكنى بأبي يوسف، حافظ الحديث، ثقة، وصف بأنه محدث العراق في عصره، والدورقي نسبة إلى لبس الدورقية، وهي قلانس طوال كان يلبسها المتنسكون في عصره، ومن مؤلفاته كتابه المسند. شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص 69. الفراء البغدادي، المصدر السابق،ج2، ص552 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص194.

[131] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص 92. خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 25 .

[132] أمير من نجباء أبناء الخلفاء، يكنى بأبي محمد، كان فقيها، شاعراً، إخباريًّا، محبا للعلم والعلماء، له مؤلفات من بينها "العليل والقتيل" في تاريخ وأخبار العباسيين، " المسكتة " في فضائل المحدث بقي بن مخلد. ابن الأبار القضاعي(محمد بن عبد الله)، **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2008. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4 ، ص 96 .

[133] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 262 - 263 .الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 449. ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 120 . تاج الدين السبكي، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 309 – 310.

وكان قد لقي حتفه على يد أبيه بعد أن اتهمه بالتآمر عليه والتدبير لخلعه، وأثرت هذه الحادثة سلبيًّا على انتشار المذهب الشافعي في الأندلس؛ إذ توقف نشاطه حتى أيام الحكم المستنصر، فقد كان بعض الفقهاء الشافعيين من جلسائه، والمقابلين له في الكتب كابن صَلّى الله أحمد بن عبد الوهاب بن يونس(ت399ه /1008م)[134]، وعمومًا فقد بقي انتشار المذهب الشافعي في الأندلس محدودًا [135].

ج)-المذهب الظاهري:

يقرر المذهب الظاهري بأن المصدر الفقهي هو النصوص أي بظاهر الكتاب والسنة؛ فلا رأي في أحكام الشرع، فلم يأخذوا أصحاب هذا المذهب لا بالقياس، ولا بالاستحسان، ولا بالمصالح المرسلة، ويرجع تأسيس هذا المذهب إلى الفقيه داوود بن علي الأصبهاني(ت270 ه/884م)، الذي ولد سنة201ه/816م بالكوفة، وسكن وتوفي ببغداد[136].

وأول من أدخل المذهب الظاهري في الأندلس الفقيه القرطبي عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال(ت272ه/885م) الذي رحل إلى العراق، وتتلمذ على يد داود الأصفهاني(270ه /883م) منشئ المذهب، وكتب عنه كتبه، وأقبل بها إلى الأندلس، وكان قبل ذلك مالكيًّا، لكنه مال إلى المذهب الظاهري[137]، وممن أخذ عنه من الأندلسيين تلميذه الفقيه محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت333هـ/ 944م) الذي ألف كتاباً في السنن على تصنيف داود الأصفهاني، أخذ الناس عنه[138] ومحمد بن قاسم(ت340ه/951م)[139] .

---

[134] قرطبي ، يكنى بأبي عمر ، كان حافظاً للفقه ، عالماً بالاختلاف ، ذكيا ، له حظ من العربية واللغة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ص 47. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 436 .

[135] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 81 .

[136] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 506 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 333.

[137] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص219 .

[138] يرى أنخل جنثالث بالنثيا بأنه تخصص في الحديث أكثر ، بينما يذكر ابن الفرضي بأنه عالم فقيه بالدرجة الأولى ، إذ يقول فيه : "كان فقيهاً عالماً ، حافظاً للمسائل والأقضية ...." ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 51 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 439 .

[139] قرطبي ، يكنى بأبي محمد ، ويعرف بالبياني ، محدث ، عالم بالأنساب ، والنحو ، والغريب ، والشعر ، ولد سنة 244ه/858م ، رحل إلى المشرق سنة 274ه/887م فسمع من علماء مكة ، والعراق ، ومصر ، والقيروان ، وتاهرت ، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير ، وكانت إليه الرياسة في الإملاء لكتب التاريخ ، وسمع منه في التاريخ من الكتب عبد الرحمن بن محمد الناصر قبل توليه الخلافة ، ثم سمع منه ابنه وولي عهده الحكم المستنصر وإخوته ، وسمع منه الكثير من الأندلسيين ، إذ كانت الرحلة إليه في الأندلس. ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق1، ص 364 وما بعدها .

ولم يلق المذهب الظاهري قبولاً كبيرًا لدى الأندلسيين، وهذا لغلبة وسيادة المذهب المالكي المطلقة خاصة في عصري الإمارة والخلافة[140]، لهذا نجد أن فقهاء هذا المذهب في الأندلس قليلون، ومن أشهر الذين انتسبوا إليه الفقيه، والقاضي منذر بن سعيد البلوطي(273-355هـ/887-966م) الذي كان عالماً باختلاف العلماء، وله كتب في علوم القرآن، والفقه، والسنة، والورع، والرد على أهل الأهواء، والبدع أخذها الناس عنه، وقرؤها عليه[141] .

ورغم أنه ظاهري المذهب إلا أنه في القضاء لا يحكم إلا بمذهب الإمام مالك ، وهو الذي عليه العمل بالأندلس، وله مؤلفات كثيرة من بينها كتاب أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وغيرهما[142].

وممن اشتهروا بالظاهرية، وكان قطبًا لها، وأحد أبرز شيوخها في الأندلس الإمام العالم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(ت456هـ/1063م) الذي وصفه ابن بشكوال: "بأنه أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة، والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار"[143]، وكان في بداية فقهه شافعيُّ المذهب، ولكنه ما لبث أن تمذهب بالظاهري، ولقد وقف الفقهاء ضده، وحرضوا حكام الأندلس في ذلك العصر عليه إلا أنه كان له أتباع، وطلبة يأخذون العلم عنه يعرفون بالحزمية، فقد حل بجزيرة ميورقة، وتبعه بعض أهلها، وقامت مناظرات بينه، وبين الفقيه المالكي أبي الوليد الباجي في هذه الجزيرة، قيل بأنه انتصر فيها الباجي على ابن حزم[144].

ولقد اشتهر ابن حزم على أنه من علماء الحديث أكثر مما يحسب من الفقهاء على حد قول ابن بشكوال[145]، وكان من تلامذته أبو عبد الله الحميدي(ت488/1095م) حيث أخذ عنه العلم، وأكثر عنه الرواية [146] .

---

[140] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 82 .

[141] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 144 – 145 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 290 .

[142] نفسه ، ج2 ، ص ص 195 – 196 .

[143] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 .

[144] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 231 .

[145] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 .

[146] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 309 – 310 .

د)-المذهب الحنفي:

لم يكتب للمذهب الحنفي الانتشار في الأندلس بالمقارنة مع المذاهب السالفة الذكر فربما يرجع هذا لدور السلطة السياسية في اعتماد مذهب معين كالمالكي مثلاً دون غيره من المذاهب الأخرى، وربما يعود إلى أسباب أخرى اجتماعية، وفكرية، وهذه الجزئية لا تهم بحثنا هذا بقدر ما يهم طلبة العلم في هذا المذهب، وتوجد بعض الإشارات القليلة والنادرة لهؤلاء نظراً لقلة الاقبال على طلب فقه هذا المذهب أو ممن اعتنقوا المذهب الحنفي، ومنها ما نقله المؤرخ خليل إبراهيم الكبيسي عن ابن الفرضي لما ترجم لزيد بن بشير الأندلسي، إذ قال:" فقيه على مذهب الكوفيين "[147].

ولقد ذكر المقري التلمساني وهو يترجم للفقيه يحيى بن يحيى الليثي(ت234ه/848م) بأن مذهبين " انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى الشرق إلى أقصى عمل افريقية، فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه، ومذهب مالك عندنا بالأندلس"[148].

ومن نص المقري يتضح أن أقصى انتشار للمذهب الحنفي في الغرب الإسلامي وصل إلى افريقية أيام دولة الأغالبة(184-296ه/800–908م)[149]، ولم يطأ الأندلس إلا من خلال القلة القليلة من طلبة العلم الذين ارتحلوا إلى المشرق وأخذوا من فقهاء الكوفة الحنفيين، أو من أهل المشرق الذين دخلوا الأندلس ومعهم كتب وعلم هذا المذهب.

V)- المعتزلة وانتشارها بالغرب الإسلامي:

أ)-تعريف المعتزلة:

هي فرقة كلامية ظهرت بسبب الخلاف الذي دار بين أهل السنة والجماعة حول مرتكب الكبيرة، فالخوارج يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر، أي في نظرهم أنه خارج عن الدين الإسلامي، ولا تقبل له شهادة، وأما أهل السنة فيرون أن مرتكب الكبيرة هو فاسق وليس بكافر، وقد ظهرت هذه المسألة في العصر الأموي، وكان على رأس فرقة المعتزلة واصل بن عطاء (ت131ه/ 748م)، وترجع سبب التسمية إلى الحوار الذي جرى بين واصل

---

[147] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 156 . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 85 .

[148] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 187.

[149] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 85 .

وشيخه الحسن البصري (ت110ه/ 728م) إذ كان يحضر دروسه المسجدية، وفي إحدى الحلقات أثيرت مسألة مرتكب الكبيرة؛ فقال واصل مخالفا شيخه الحسن: " أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق ولا هو كافر بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين " ثم اعتزل مجلس الحسن، واتخذ له مجلسا آخر في المسجد ؛ فقال الحسن: " اعتزل عنا واصل" فسمي هو وأصحابه معتزلة[150].

ويرى بعضهم أن بداية ظهور هذه الفرقة تعود إلى سنة 40ه/ 660م عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة لمعاوية بن سفيان، فاعتزل بعضهم الحسن ومعاوية وجميع الناس، ذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة؛ فسموا بذلك معتزلة، والإعتزال هنا من حيث الدلالة اللفظية ولا علاقة لها من الناحية العقدية والفكرية إذ لم تكن لهم عقيدة تميزهم عن غيرهم[151].

ب)أسماء وفرق المعتزلة:

جاء فيما سبق بأن أصل تسمية المعتزلة تعود لإعتزال واصل بن عطاء مجلس أستاذه الحسن البصري، لكن عرفوا بأسماء أخرى غير هذه التسمية سواء التي سموا بها أنفسهم أو التي أطلقها عليهم خصومهم، ومن هذه الأسماء ما يلي:

أ)- الجهمية: وهي تسمية أطلقها عليهم أهل السنة نسبة إلى جهم بن صفوان(ت128ه/ 745م)، وهو أسبق زمنيا عن المعتزلة، وأول من أطلق اسم الجهمية لهذه الفرقة هو الإمام أحمد بن حنبل في كتابه: "الرد على الجهمية"، إذ كانت مناظراته معهم تدور حول بعض المسائل العقدية، وتتوافق المعتزلة مع جهم في الكثير من المسائل ومنها على سبيل المثال: نفي الصفات، ونفي رؤية الله عز وجل بعد الموت، ومسألة خلق القرآن[152].

ب)-القدرية: وهذا لقولهم بحرية الإنسان أي أن قدر الإنسان بيده، فهم ينكرون القدر في أفعال العباد، وينكر المعتزلة هذا الاسم على أنفسهم، ولا يرضون به، ويرون أنه ينبغي أن يُطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لا عليهم ، لأنهم يقولون بأن الناس

---

[150] الشهرستاني، المصدر السابق، ص ص 36-37. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص 119-122.

[151] اللمطي(أبو الحسن محمد بن أحمد)، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تصحيح ومراجعة ديد رينغ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009، ص ص28-29. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص118.

[152] علي عبد الفتاح المغربي، **الفرق الكلامية الإسلامية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1995، ص 199.

هم يقدرون أعمالهم، ومن أبرز المتكلمين في هذه الفرقة: معبد الجهني(ت80ه/699م) ، وهو أول من تكلم في القدر في زمن الصحابة رضوان الله عليهم[153].

ج)-**الثنوية والمجوسية:** وقد أطلقه عليهم المخالفين لهم، وأما المعتزلة فهم ينفرون منه، وقد أطلق عليهم هذه التسمية لأنهم يقولون بأن الخير من الله والشر من العبد؛ وهذا الرأي يشبه أصحاب الديانة المجوسية الذين يقولون بوجود إلهين ؛ أحدهما للخير والآخر للشر، ويرى المعتزلة الأقدمون بأن الله يخلق الخير، وأن الشيطان يخلق الشر[154].

د)- **الوعيدية:** لقولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة، وأن الله تعالى لا خلف في وعده ووعيده، فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت[155].

ه)- المعطلة: وهذا لنفيهم للصفات، وتعطيلها، وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من الكتاب والسنة، وتنتسب للمعطلة فرقة تسمى معطلة الفلاسفة التي تنكر الخالق، والبعث، والميعاد، وقالوا بالطبع المحي، والدهر المُفنى[156].

وللمعتزلة أسماء أخرى كالحرقية، ومخانيث الخوارج، والمفنية، واللفظية، كما اختاروا لأنفسهم عدة تسميات كأهل العدل والتوحيد أو "العدلية"، أهل الحق، الفرقة الناجية، وغيرها[157].

ولقد افترقت المعتزلة إلى عشرين فرقة، وهي كالآتي: الواصلية، العمروية، الهذيلية، النظامية، الأسوارية، المعمرية، الإسكافية، الجعفرية، البشرية، المردارية، الهاشمية، الثمامية، الجاحظية، الخياطية، أصحاب صالح قبة، المريسية، الشمامية، الكعبية، الجبائية، البهشمية، الخابطية، والحمارية[158].

---

[153] غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط4، ج3، 2001، ص1167. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 264.

[154] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج4، ص175.

[155] غالب بن علي عواجي، المرجع السابق، ص1167.

[156] نفسه، ص1168. عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص370.

[157] المقريزي ، المصدر السابق، ج3، ص401. غالب بن علي عواجي، المرجع السابق، ص1168.

[158] البغدادي(عبد القاهر بن طاهر)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط2، 1977، ص93.

ج) أصول المعتزلة: تتفق فرق المعتزلة على خمسة أصول، ولكنها تختلف في الكثير من الآراء والمعتقدات، ولا يكون الإنسان معتزليا إلا إذا كان يؤمن ويعتقد بهذه الأصول الخمسة، وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[159].

د)المعتزلة في الغرب الإسلامي:

ارتبط وجود فرقة المعتزلة بعلم الكلام، هذا العلم الذي لقي معارضة شديدة لدى أهل المغرب والأندلس ماعدا في الدويلات الخارجية بالمغرب ، كالدولة الرستمية الاباضية في المغرب الأوسط، والدولة المدرارية الصفرية في المغرب الأقصى، وهذا لتمسك أهل المغرب والأندلس بالمذهب المالكي السني، وعلم الرغم من ذلك فيه جماعات قليلة انتسبت لفرقة المعتزلة ذكرها الشهرستاني بانها كانت موجودة في المغرب الأقصى في دولة الأدارسة(172-375ه/788-985م) يقال لها الواصلية نسبة إلى واصل بن عطاء[160].

وأما في الأندلس فإن الفرق الكلامية كان انتشارها خفيا بسبب وقوف الفقهاء والمحدثين ضدها؛ فقد كانوا يلتزمون بظاهر النصوص الشرعية بحجة أن هذا العلم بدعة ومن الواجب محاربته والتنكيل بأتباعه، وكان لفقهاء المالكية مثلًا نفوذا قويا لدى البلاط الأموي، وكانوا يتخوفون من كل حامل لفكرة جديدة أو كل مجتهد من المذاهب الأخرى في الاعتقاد ومنها الاعتزال خاصة[161] .

وبلغ الأمر بأنه حتى الطلبة الذين يرحلون إلى المشرق لطلب العلم كانوا يتجنب بعضهم المجالس العلمية التي تضم المتكلمين سواء من المسلمين ، أو تلك التي تضم ذوي العقائد الأخرى ، ولقد سئل أحد الأندلسيين بعد عودته إلى الأندلس من رحلته العلمية ما إذا كان قد زار أحد مجالس العلم ببغداد ، وقد أجاب بما يلي: "لقد قمت مرتين بزيارة مجلسهم ، لكنني ترددت أن أكرر الزيارة مرة ثالثة ، لماذا؟ ، تصوروا في المجلس الأول لم يكونوا مسلمين من كل الطوائف السنية والمخالفة وحسب ، بل حضر أيضا عبدة النار والدهرية واليهود

---

[159] للاستزادة أكثر حول أصول المعتزلة يرجع إلى: اللمطي، المصدر السابق، ص36. علي عبد الفتاح المغربي، المرجع السابق، ص203. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص120. غالب بن علي عواجي، المرجع السابق، ص1178.

[160] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 36.

[161] محمد زنيبر، **دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس اكدال ، ط1 ، الرباط ، 2010 ، ص 379 .

والمسيحيون ، وباختصار الكفار من كل جنس ، وكان لكل طائفة ناطق باسمها عليه أن يدافع عن وجهة نظرها ، وحين يدخل أحد قادة هذه الأحزاب القاعة يقف الجميع ولا يجلس أحد قبل أن يأخذ ممثل الفريق مكانه ، وحين أصبحت القاعة شبه مليئة أخذ أحد الكفرة الكلمة وقال :" لقد اجتمعنا هنا لنتناقش ، وأنتم جميعًا تعرفون شروط المناظرة الأولية ، عليكم أيها المسلمون أن لا تحاجوا ببراهين مأخوذة من كتابكم أو بأقوال تنسب إلى نبيكم . ذلك أننا لا نؤمن بهذا النبي ، ولا بهذا الكتاب ، وعلى جميع الحاضرين الاستناد إلى علل تستند إلى العقل فقط . لقد لاقت هذه العبارات قبولًا عامًا ، ولكم أن تتصوروا أنه بعد سماعي لهذه الأقاويل لم أعد أجد أية رغبة في العودة إلى مثل هذا المجلس . ومع ذلك فقد نصحت بزيارة مجلس آخر، وقد فعلت لكن الفضيحة كانت مماثلة "[162] ، إذًا من هذا النص يتضح لنا جليًّا موقف الأندلسيين من علم الكلام والمتكلمين ، فلم تقتصر هذه المقاطعة داخل الأندلس وفقط ، بل تعداه إلى ما هو في المشرق أثناء رحلاتهم في طلب العلم .

أما بعض الأندلسيين الذين شذوا عن هذه القاعدة ، وحاولوا طرق هذا العلم فقد لاقوا المضايقات والاضطهاد ، وتشدد الحكام الأندلسيين ضدهم ، باستثناء الحكم المستنصر الذي كان مولعًا بالعلم والمعرفة، ويشجع العلماء في مختلف التخصصات ويوقرهم[163] ، ولم تكتف المضايقات إلى حد متابعة المشتغلين بهذا العلم بل تعدت إلى مصنفاتهم وكتبهم ، والتي تعرضت إلى المصادرة ، أو الحرق ، أو الكف عن استنساخها فضاعت أغلبها ، ولم يبق منها إلا أسماءها في متون كتب التراجم[164] .

هذا الموقف السلبي لبعض الأندلسيين من نفور لكل من ينتسب إلى علم الكلام ، وأهله صرح به المحدث الفقيه ابن عبد البر النمري ، وهو يعبر عن رأي الفقهاء بقوله: "أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء (...) فكل متكلم هو من أهل الأهواء والبدع"[165]، لهذا السبب كانت الأندلس

---

[162] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 146 - 147 .

[163] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 65 – 66 .

[164] محمد زنيبر ، المرجع السابق ، ص 378 .

[165] ابن عبد البر النمري(يوسف بن عبد الله)، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2006، ص 319 .

بعيدة عن تعدد المذاهب، وصراع الفرق، والتيارات الكلامية كما هو الحال في المشرق ، مما أدى بالأندلسيين صرف النظر ، وعدم الاشتغال بهذا العلم، وهذا الحال وصفه ابن حزم في قوله :"وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب ..."[166] .

وعلى الرغم من هذه المعارضة والمضايقات من طرف الفقهاء ، والسلطة السياسية ، إلا أنه في المقابل استطاع بعض الأندلسيين تحدي هذه الأوضاع مستغلين ظروف العصر من نهاية القرن الثالث إلى بداية الرابع الهجري / التاسع والعاشر للميلاد مع ظهور مدرسة الحديث ، والتي انتقلت الأندلس من التبعية الفقهية للإمام مالك وكتابه الموطأ ، إلى دراسة كتب أخرى كالمدونة ، والمستخرجة وكذا الرجوع إلى الأصول نفسها من كتب الحديث النبوي الشريف[167] .

وحتى وإن لم يكن في الأندلس مثل تلك الفرق الكلامية، كما هو في المشرق كالجبرية[168]، والمرجئة[169]، فالحاجة إلى علم الكلام كان من أجل أن يحسن طالب العلم

---

[166] ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد)، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن **رسائل ابن حزم الأندلسي 384 – 456 ه**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ج4، 1983، ص186.

[167] سالم يفوت، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله**، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ط1، 2005، ص81 .

[168] وهي تيار من الفرق الكلامية، يستمد أدلته من القرآن الكريم، ويرى أصحابه أن كل حركة تقع في الإنسان أو في الكون إنما هي من قضاء الله ولا اعتراض للبشر على قضاء الله، وهو الذي يوجه أعمالهم إلى الخير أو إلى الشر، والجبرية تنقسم إلى أصناف، فهناك الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، وهناك الجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. الشهرستاني، المصدر السابق، ص69. محمد الأمين بلغيث، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار التنوير ، 2006 ، ص 92 .

[169] وهي كذلك تيار من المتكلمين ، وأُختلف في المقصود بالإرجاء ، وقيل بأن له عدة معان فمنها التأخير عملاً بقوله تعالى في الآية رقم 111 من سورة الأعراف : "قَالُواْ أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ " أي أمهله وأخره ، والمعنى الثاني أي إعطاء الرجاء ، وأطلق اسم المرجئة على المعنى الأول فهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد ، وهناك من يقول بأنهم الذين يؤلون قوله سبحانه وتعالى في الآية 107 من سورة التوبة :" وَ ءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " ، ومن أقوالهم بأنه ليس من حق الحكم على أحدهم بأنه ظالم أو مظلوم ، لأن مثل هذا القول هو شرك بالله وادعاء بالألوهية ، وتدخل في مشيئة الله لأنه سبحانه وتعالى هو الحاكم ، والمرجئة أصناف ، فهناك مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ...الخ . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 112 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق، ص ص 91 – 92 .

البرهنة بالحجج العقلية على عقائد السنة ، وهذا ما صرح به ابن خلدون بقوله : " لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة ، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها ...."[170] .

ثم إن معظم المتكلمين الأندلسيين لم يتبنوا علم الكلام إلا بعد قيامهم برحلاتهم العلمية إلى المشرق ، إذ كان للرحلة دور كبير في تطلع أهل العلم الأندلسيين إلى قراءة ودراسة علم الكلام ، والاتصال بأعلامها وحضور مجالسهم في المشرق ، ثم يعودون إلى الأندلس بتلك الأفكار ، وربما بمعتقدات تلك المذاهب فيقومون ببثها ونشرها بين طلبة العلم الأندلسيين الذين لم يرتحلوا .

والملاحظ أن إسهامات العلماء الأندلسيين ، وإنتاجهم الفكري من مؤلفات في علم الكلام قد آلت إلى الضياع ، وإلا كيف نفسر إهمال ذكرها في كتب التراجم والطبقات ، والترجمة لأصحابها كابن الفرضي والحميدي ، وابن بشكوال ، والضبي ، وغيرهم ماعدا بعض الإشارات القليلة التي سيأتي ذكرها في مواضعها لاحقًا ، وهذا ما يزيد من صعوبة البحث والتقصي وتتبع ميلاد وتطور علم الكلام والجدل في الأندلس خلال فترة موضوع البحث المدروسة .

ومن القلائل الذين ورد ذكرهم في كتب التراجم ممن اشتغلوا في علم الكلام خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة(عاش في القرن3ه/9م)، وكان محمد بن وضاح المحدث صديقًا له ، ولما تبين له أنه من المتكلمة هجره[171]، وله حادثة مع الفقيه المحدث بقي بن مخلد ، إذ نهاه عن حضور مجلسه بعد حوار دار بينهما، فقد طرح عليه أسئلة وكانت إجابته لا تعجب بقي بن مخلد ونص هذا الحوار يورده لنا ابن الفرضي نقلاً عن ممن شهد هذا المجلس بقوله: " حضرت الشيخ يعني بقيًّا وقد أتاه: خليل فقال له بقي: أسالك عن أربع : فقال: ماهي ؟ قال : ما تقول في الميزان ؟ قال: عدل الله ، ونفى أن تكون له كفتان : فقال له : ما تقول في الصراط ؟ فقال :الطريق . يريد الإسلام فمن استقام عليه نجا ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ فلجلج ولم يقل شيئًا، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق (فقال له): فما تقول في القدر ؟

---

[170] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص977. عبد الصمد تمورو، **تجديد الكلام في علم الكلام** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش ، ص 31 .

[171] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 139 .

فقال : أقول : إن الخير من عند الله والشر من عند الرجل. فقال له بقي : والله لولا حالة لأشرت بسفك دمك ، ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد هذا الوقت"، ولما توفي خليل بن عبد الملك اجتمع الفقهاء وأخرجوا كتبه ، وأحرقت إلا تلك التي تتعلق بموضوعات المسائل والفرائض[172].

وكذلك يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة القرطبي (ت315هـ/927م)[173] فقد تأثر بعلم الكلام والجدل بعد رحلته إلى المشرق فمال إلى كتب المتكلمين و مذاهبهم وطلب علم الحساب ، وبعد عودته إلى الأندلس أصابه المرض ، فلزم داره يدرس فيه طلبة العلم يأخذون عنه ، وقيل بأنه كان معتزلي المذهب [174] .

ومحمد بن عبد الله بن مسرة (ت319ه/ 931م) الذي اتهم بالزندقة وخرج فاراً إلى المشرق في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300ه/888- 912م) فتردد على أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة المشارقة ، وبعد عودته إلى الأندلس أظهر الورع والتقوى فاغتر به بعضهم وتبعته طائفة من الأندلسيين ، وكان ابن مسرة يحرف التأويل في كثير من ألفاظ القرآن الكريم ، ويدعي التكلم على تصحيح الأعمال ، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق ، واستطاع ابن مسرة أن يجد أتباعًا له في الأندلس، وتأسيس مذهب في الاعتزال إذ انضمت إليه جماعة يكثر عددهم ، واعتبروه إماماً في العلم والزهد[175]، بينما اتهمه البعض بالبدعة والزندقة، واحرقت مصنفاته، لما فيها من مقالات واستنباطات وإشارات غامضة واعتبروها ضالة وملحدة[176] .

وممن قوبلت مؤلفاتهم بالقبول في هذا العلم ما ألفه موسى بن محمد بن حدير الحاجب عهد عبد الرحمن الناصر، وأخوه أحمد الوزير صاحب المظالم من كتب في علم الكلام والاعتزال وأصوله[177] .

---

[172] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 139 .

[173] كان متصرفًا في مختلف فنون العلم ، في الآداب ورواية الأخبار ، وله مشاركة في الفقه ، والرواية ، زيادة على شرح معاني الشعر ، وعلم العروض والتنجيم ، والطب . نفسه ، ق2 ، ص 188 .

[174] نفسه . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 .

[175] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 40 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 22 .

[176] نفسه ، ج4 ، ص 329 .

[177] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 603 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 21 .

وعلى الرغم من هذه المحاولات إلا أن الأندلسيين في العموم نبذوا هذا الانتساب إلى الفرق الكلامية كالمعتزلة، فلم يرض الفقهاء أن يجدوا في مجالس أهل الكلام حضور مختلف الاتجاهات والمعتقدات، ويتعاملون معهم على قدم المساواة، ووجدوا في هذا ذهاب لحرمة الإسلام، فامتنعوا عن حضور هذه المجالس[178] .

ولم يكتف الأندلسيون بهذا، بل إن بعض الفقهاء أوصى لبنيه وتلامذته بتجنبها ومقاطعة مثل هذه المجالس، وهو ما صرح به الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي أحد أبرز شيوخ عصر ملوك الطوائف في وصية لولديه وهو يقول: " وإياكما وقراءة شيء من المنطق، وكلام الفلاسفة، فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة، وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساده، وضعف شبهه، وقلة تحقيقه"[179].

المحاضرة الخامسة

الحواضر الإسلامية ودورها في الإشعاع العلمي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي

مقدمة:

ساهمت الحواضر بصفة عامة سواء في المشرق أو في الغرب الإسلامي بدور جليل في نقل العلوم والمعارف بين القطرين من خلال إقبال وزيارة طلبة العلم إليها من غير ساكنيها أو من التجار الوافدين إليها أو من خلال رحلات الحجيج بالنسبة للحواضر الروحية.

ولقد سلك ناقلو العلم والمعارف سواء من طلبة العلم أو العلماء في رحلاتهم من الغرب الإسلامي نحو المشرق أو العكس طرقاً مختلفة، وربما الطريق الذي كان أكثر شيوعاً واستعمالاً هو ذلك الذي يمر بشمال المغرب الإسلامي، ومصر ، وبلاد الشام ، ثم الاتجاه إلى العراق، فبلاد الحجاز ، وهذا هو الطريق البري، وهناك من سلك طريق البحر بالركوب إلى مصر، ومنها إلى بلاد الشام عبر سيناء أو بلاد الحجاز بعد اجتياز بحر القلزم، وهو ما يعرف بالطريق البحري، ويلاحظ أن الفترة الزمنية لهذه الرحلات كانت تبلغ عدة أشهر، وقد

---

[178] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 46 .

[179] جودة عبد الرحمن هلال، **"مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه"**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، العدد03، م1، 1955، ص34 .

تبلغ السنة والسنوات، ويمر صاحب الرحلة على حواضر الأمصار الإسلامية المشهورة آنذاك كالقيروان، وفاس، والإسكندرية، وبغداد، والبصرة، والكوفة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ويعرج بعض الطلبة إلى الحاضرة صنعاء في اليمن.

وفيما يلي ذكرلأهم الحواضر، التي ساهمت في نقل الإشعاع العلمي والفكري بين المشرق والغرب الإسلامي، وهذه الحواضر هي بمثابة مراكز للعلم استقطبت طلبة العلم من مختلف بقاع العالم الإسلامي:

أ)- الحواضر المشرقية :

1/ -مكة المكرمة :

تعد الحاضرة مكة المكرمة أولى الحواضر التي تشد إليها الرحال سواء في الرحلة العلمية أو الرحلة الحجية إما لطلب العلم أو لغرض أداء فريضة الحج أو كليهما معا، وكان لحلقات العلم[180] التي تقام في المسجد الحرام الأثر البارز في تكوين الرصيد العلمي والمعرفي لطلبة العلم وإثراء الحركة العلمية في بلاد الحجاز بصفة عامة، وقام المسجد بتجسيد هذا الدور الحضاري الفعال منذ فجر الإسلام أي من عهد الرسول والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، وظل المسجد الحرام يزدحم برجال الحديث والقراء وأصحاب الفتاوى وأخذت الحلقات العلمية في اتساع أكثر خاصة في موسم الحج[181] ، إذ كانت مكة تشهد في هذا الموسم كثرة الوافدين؛ فزيادة على الحجاج كذلك طلبة العلم والعلماء، وكانت بعض المجالس تعقد في بيوت الفقهاء علاوة على حلقاتهم في المساجد[182].

---

[180] المقصود بحلقات العلم ذلك النظام التعليمي القائم على إحاطة الطلاب بشيخهم، ويرجع هذا النظام إلى العصر النبوي واستمر إلى غاية ظهور المدارس الإسلامية، وتشبه الحلقة بالقسم الدراسي ذات عدد غير محدود من الطلبة الذي قد يبلغ 53 أو 54 طالب علم. طرفة عبد العزيز العبيكان، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة بين القرنين السابع والثامن للهجرة** مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص ص 53 – 54 .

[181] نفسه، ص 53 .

[182] نفسه، ص 55 .

وتتجلى أهمية المشرق عامة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة خاصة بالنسبة لأهل الغرب الإسلامي في أنه يعد منبع رسالة الإسلام، وفيه نشأت العلوم الإسلامية المختلفة من علوم القرآن، وفقه، وتفسير، وعلوم الحديث، وغيرها [183].

ولقد عبر الباحث المغربي بن عيسى أحمد بويوزان عن أثر الرحلة الحجية على الرحلة العلمية بأن كل نهضة علمية في الغرب الإسلامي في أي عصر من العصور إلا وارتبطت برحلات الحج التي يقوم بها طلبة العلم، من خلال استغلال هذه الفرصة للقاء العلماء، والمشايخ في المراكز العلمية المختلفة [184].

وقـد يـبقى بعض الطلبة شهوراً أو سنـوات في تلك البقاع الطاهرة لتحقيق هذا الهدف كما هو الحال لعبد الله بن وهب الطليطلي(ت301 أو302ه/913 أو 914م) الذي مكث بمكة إحدى عشرة سنة[185]، ويبدأ طلبة العلم المغاربة والأندلسيون السماع وأخذ العلم من علماء الحجاز أولاً بعد أداء فريضة الحج، ثم يأتي السماع من علماء الأمصار الأخرى التي تأتي في طريق العودة من الحج[186].

ولقد عرفت بعض الحلقات في الحرم المكي تنوعاً في أصحاب المذاهب من حنفية ومالكية، وشافعية، وحنبلية، وكان لكل مذهب ركن خاص به، والدراسة لم تكن لها منهجاً مقرراً، ومحدداً، وإنما كان المدرس أو الشيخ هو الذي يقرر ما يريد تدريسه، وهو الذي يختار المنهاج الملائم لهم، ويُعقد الدرس يومياً، ولا تقتصر حلقات العلم على التدريس والتلقين فقط بل تتعدى إلى مناظرة العلماء فيما بينهم أي بين العلماء المجاورين لبيت الله الحرام، والعلماء الوافدين إليهم من مختلف أقطار العالم الإسلامي، تتناول هذه الحلقات مختلف العلوم النقلية وحتى العقلية[187].

---

[183] بن عيسى أحمد بويوزان ، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين** ، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ، 1426ه ، ص 246 .

[184] نفسه ، ص ص 247 – 248 .

[185] أخذ علم الرواية عن علماء مكة ومصر ، وقيل أنه بعد رجوعه إلى الأندلس من رحلته التي مكث فيها طويلاً بمكة مال إلى الدنيا ، فأمسك الناس الأخذ عنه . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 221 .

[186] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص 249 .

[187] طرفة عبد العزيز العبيكان ، المرجع السابق ، ص 55 وما بعدها .

ولم يقتصر دور الحرم المكي العلمي على الحلقات العلمية المنعقدة بين زواياه ، بل اشتهرت مكتبته التي يوجد بها خزائن للكتب، والمصاحف، ومنها مصحف كريم بخط يد الصحابي الجليل زيد بن ثابت (ت45ه/665م) منسوخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بثمانية عشرة سنة [188].

وتجدر الإشارة إلى أن أماكن التعليم ومؤسساته لم تقتصر على المسجد الحرام فقط، بل كانت مساجد أخرى، وهي أقل درجة من حيث كثافة النشاط الديني التعليمي من المسجد الحرام، وكذلك الرُبط التي كانت بمكة والحجاز، وقد اقترنت بالحجاج الوافدين لأداء مناسك الحج، ويرجع الفضل في إنشائها، وانتشارها إلى أهل الخير، والصدقات وقفاً لضيوف الرحمن، وطلبة العلم الوافدين من أجل توفير الراحة لهم خاصة أثناء موسم الحج، إذ يُؤمن لهم المسكن والمأكل ، بل الأكثر من ذلك أن بعض الرُبط يوجد بها عدد غير قليل من الكتب مما أتاح لنزلائها الاطلاع عليها، والاستفادة منها ، وارتبط اسم بعض الرُبط باسم المغرب كرباط المغاربة مثلاً[189].

وكل ما سبق ذكره يتبين الدور الحضاري لمكة المكرمة، والمكانة الشريفة للحاضرة المقدسة كمركز إشعاعي ثقافي أول لأهل المشرق والغرب الإسلامي القاصدين إليها من أجل الاستزادة بالعلم فضلا عن دورها الديني التعبدي، والملاحظ أن أغلب كتب الطبقات والتراجم سواء المغربية أو الأندلسية أشارت وهي بصدد الترجمة لشخصية من كانت له رحلة إلى المشرق إلا وذُكرت الحاضرة الشريفة مكة، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها ما ذكره ابن الفرضي وهو بصدد التعريف بإبراهيم بن حارث بن عبد الملك بن مروان الأنطي المقري(ت391ه/ 1000م) أنه :" سمع بمكة من..."[190]، وكذلك ابن بشكوال لما ترجم لعبد الله بن عبد الرحمن بن ذنين بن عاصم الصدفي الطليطلي(ت424ه/ 1032م) إذ قال فيه : "رحل إلى المشرق مع أبيه سنة 381ه/991م فحج ، ولقي بمكة أبا القاسم عبيد الله بن محمد السقطي البغدادي ، وأبا الطاهر العجيفي وأجاز له ما رواه ..."[191] ، وكذلك لما ترجم لعبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجالي طويل الجوار بمكة المكرمة (ت436ه/947م) الذي قال

[188] طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع السابق، ص ص 81 – 82 .

[189] نفسه، ص ص 65 – 66 .

[190] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 20 .

[191] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 407 .

عنه بأنه :" رحل إلى المشرق سنة 391 ه/1000م فسمع بمكة من أبي القاسم السقطي (...) وصحب بها أبا ذَرٍ عبد بن أحمد الهروي الحافظ ، واختص به وأكثر عنه "[192].

2/-المدينة المنورة :

تتجلى أهمية الحاضرة الشريفة المدينة المنورة العلمية والدينية في المسجد النبوي الشريف، الذي جعل منه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مدرسة يلتقي فيه صحابته رضي الله عنهم، ويعلمهم ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم، و بقيت مكانته السامية وأهميته البالغة على مر السنين والعصور من بعده صلى الله عليه وسلم[193] .

ولقد اشتهر العديد من علماء المدينة المنورة، الذين تعددت تخصصاتهم بين العلوم الدينية والأدبية، واشتهر منهم على سبيل المثال لا الحصر الفقيه الحافظ صاحب الفتوى في المدينة العلامة ربيعة الرأي بن فروخ التيمي(ت136ه/753م)[194]، وهو شيخ الإمام مالك بن أنس(ت176ه/792م) في الفقه ، وكذلك الفقيه المفسر زيد بن أسلم العدوي العمري (ت136ه /754م) الذي كانت له حلقة بالمسجد النبوي الشريف[195] ، كما كان يُدرس بالمدينة المنورة الإمام مالك بن أنس والذي سمي بإمام دار الهجرة أو إمام المدينة وإليه ينسب المذهب المالكي ، وقد قيل في حقه :" لا يفتى ومالك في المدينة"[196].

ولقد حرص طلبة الغرب الإسلامي على الأخذ من مشايخ الحرمين الشريفين سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة قبل أداء المناسك أو بعدها، واختار الكثير منهم مذهب الإمام مالك رحمة الله عليه ربما لكثرة ترددهم على المدينة المنورة سواء في حياته، والأخذ

---

[192] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 416 .

[193] عاصم حمدان علي حمدان، **المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ**، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي،ط1991،1، ص132.

[194] يكنى بأبي عثمان، مدني تابعي ثقة، وإمام، فقيه ، حافظاً للحديث، لقب بربيعة الرأي لأنه من أصحاب الرأي عند أهل الحديث. الخطيب البغدادي(أحمد بن علي)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)**، تحقيق وضبط وتعليق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001،م9 ، ص 414 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص17.

[195] عبد السلام هاشم حافظ ، **المدينة المنورة في التاريخ "دراسة شاملة"**، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط3، 1982، ص150.

[196] نفسه ، ص 151 .

عنه أو عن تلاميذه من بعده[197]، وهذا ما أكده ابن خلدون لما قال : "وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته ..."[198] .

ومن العلماء الذين لقوا الإمام مالك بن أنس بالمدينة المنورة وأخذوا عنه عبد الرحمن بن موسى الهواري (عاش في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد)، فقد رحل إلى المشرق في بداية إمارة عبد الرحمن بن معاوية الداخل(138-172ه/ 756-788م) هذا الحافظ، الفقيه، الأديب، المفسر، والعالم بالقراءات الذي قال في حقه ابن الفرضي:"كان أبو موسى إذا قدم قرطبة، لم يفتِ يحيى (يقصد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي) ولا عيسى (بن دينار)، ولا سعيد بن حسان، حتى يرحل عنها ..."[199].

ومن طلبة العلم الذين قصدوا المدينة المنورة للاستزادة نذكر من الأندلس عبد الرحمن بن دينار بن واقد الغافقي(ت201ه/816م)[200] الذي كانت له رحلات عديدة، واستوطن في إحداها بالمدينة المنورة، فسمع من علمائها، وعاد إلى الأندلس حيث أدخل معه الكتب المعروفة بالمدينة، فسمعها منه أخيه الفقيه عيسى بن دينار(ت212ه/827م) والذي بدوره كانت له رحلة إلى المشرق[201]، وكذلك محمد بن موسى بن مصباح بن عيسى المؤذن (ت381ه/991م)[202] وغيرهم .

وما يمكن ملاحظته في كتب الطبقات على غرار كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي(ت403ه/ 1012م)، وكذلك كتاب الصلة لابن بشكوال(ت578ه/1183م)؛ فأنها تقل

---

[197] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص267 .

[198] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 954 .

[199] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 257- 258 .

[200] فقيه قرطبي ، يكنى بأبي زيد . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص257.

[201] نفسه .

[202] قرطبي ، يكنى بأبي بكر ، سمع منه الأندلسيين كابن الفرضي مثلاً وغيره ، له رحلة إلى المشرق ، وسمع بمكة كذلك ، وهو مؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة . نفسه ، ق2 ، ص 95 .

في تلك الكتب الإشارات أو ذكر الحاضرة المدينة المنورة هكذا بصريح العبارة إلا بعضها اليسير في بعض التراجم كالتي ذُكرت أعلاه، وتفسير ذلك يرجع ربما في اعتقادنا أن كل عالم لما يُذكر بأن له رحلة إلى المشرق فحج، وأخذ عن علماء مكة؛ فهو بالضرورة مرّ على المدينة المنورة في الذهاب أو الإياب وأخذ العلم عن شيوخها.

3-/ حواضر العراق :

شهدت العديد من الحواضر العراقية إقبال طلبة العلم من الغرب الإسلامي عليها أثناء رحلاتهم الحجية أو العلمية، وكانت أهمية هذه الحواضر والسفر إليها تأتي في المقام الثاني بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومعنى هذا أنه ليس بالضرورة كل حاج قد مر على هذه الحواضر العراقية خاصة في الرحلة الحجية، بل في الغالب يكتفي صاحب الرحلة بزيارة حاضرتي الحرمين الشريفين دون المرور إلى العراق باستثناء بعض العلماء الذين سيرد ذكرهم فيما يأتي، وهذا بالرغم من شهرة علماء بغداد، والموصل، والبصرة[203] .

ولم تخلوا كتب التراجم والطبقات من ذكر بعض العلماء الذين مَرُّوا على بعض حواضر العراق للاستزادة بالعلم، فقد ذكر ابن الفرضي على سبيل المثال أن إبراهيم بن نصر الجهني(ت287ه/899م)[204]، دخل العراق، وسمع من علمائها، وكذلك مستشار الخليفة عبد الرحمن الناصر الفقيه محمد بن سيار القرطبي(ت 327ه/938م)[205] الذي رحل إلى المشرق سنة 294ه/906م ، وأقام في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر، ومن الأمصار التي زارها كانت العراق، فسمع من علماء البصرة، الكوفة، وبغداد، ومر كذلك على مدن مصر كدمياط، والإسكندرية، ثم طرابلس الغرب، والقيروان، وغيرهم[206]، وذكر ابن الفرضي مدينة الموصل التي سمع بها إبراهيم بن بكر بن عمران بن عبد العزيز اللخمي(ت385ه/ 995م)[207].

---

[203] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص 267 .

[204] قرطبي الأصل ، يكنى بأبي إسحاق ، يعرف بابن أبرول ، انتقل هو وأبوه إلى سرقسطة ، من علماء الحديث . ابن الفرضي ، المصدر السابق ق1 ، ص 12.

[205] فقيه ، ومتخصص في علم التوثيق ، سمع منه الناس كثيراً ، وكان ذا ثقة وصدق. نفسه ، ق2 ، ص ص46- 47.

[206] نفسه ، ق2 ، ص 47 .

[207] يكنى بأبي إسحاق ، من أهل البيرة ، قدم الأندلس بعد رحلته إلى المشرق ، فاضطرب في إقامته وسكناه بين بجانة ، وإلبيرة ، ثم استقر بإشبيلية إلى أن توفي بها . نفسه ، ق1 ، ص23.

ولم تقتصر الرحلة إلى العراق على العلماء الرجال فقط، بل تعدتهم إلى النساء العالمات خاصة الأديبات منهن ، فقد وصلت أندلسية تدعى قلم إلى بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193ه/786- 808م) الذي أنشأ داراً سميت بدار المدنيات خاصة بالأدبيات، والشاعرات القادمات من المدينة المنورة، وكانت منهن هذه الفتاة الأندلسية التي دخلت المدينة المنورة وهي صغيرة السن، فتعلمت بهذه الحاضرة الشريفة الأدب والشعر[208].

4/- الحواضر المصرية :

لقد جاء ذكر مصر كمحطة في طريق طلبة العلم من الغرب الإسلامي أثناء رحلاتهم العلمية أو الحجية سواء على الطريق البري أو البحري، والملاحظ أن المصادر وكتب الطبقات كالخشني في كتابه قضاة قرطبة وابن الفرضي مثلاً في كتابه تاريخ علماء الأندلس والضبي في البغية، وابن بشكوال في كتابه الصلة، إذا أراد أصحابها التعريف بعالم ما وسرد رحلته إلى المشرق يذكرون لفظ " مصر" فقط دون الإفصاح عن أي حاضرة مقصودة في الترجمة، وهذه الملاحظة يُستشفها في معظم التراجم الأندلسية، إلا بعض الإشارات القليلة كالتي ذكرها ابن الفرضي عندما ترجم لإبراهيم بن عبد الله بن مسرة الذي قال أنه توفي بالإسكندرية، ولم يحدد تاريخ وفاته[209]، ولما ترجم كذلك لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار مولى الوليد بن عبد الملك (ت327ه/938م)[210]، إذ قال أنه سمع بدمياط من جماعة، وبالإسكندرية التي تعد أول مدينة مصرية أنشئت فيها المدارس في العصر الإسلامي[211].

ولقد أزالت بعض الدراسات كالتي قام بها عبد السلام بن المختار شقور، وعواطف محمد يونس نواب، وحسين مؤنس بعض الغموض بأن ذكرت أهم الحواضر العلمية المقصودة أو التي جاءت في طريق الرحلة، وهي: الإسكندرية، والقاهرة ، والفسطاط التي تعد إحدى أكبر العواصم الإسلامية في المجال العلمي والفكري[212].

---

[208] عبد السلام هاشم حافظ ، المرجع السابق ، ص 139 .

[209] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 14 – 15 .

[210] قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، فقيه ، كان أول مستشار عينه الخليفة عبد الرحمن الناصر ، سمع منه الكثير من الناس ، وكان ثقة وصدوقاً استشهد في إحدى الغزوات ، وهي غزوة الخندق ، ودفن بقرطبة . نفسه ، ق2 ، ص ص 46 - 47.

[211] جمال الدين الشيال ، **تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي** ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 45.

[212] عبد السلام بن المختار شقور، **المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية**، " بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية 1426ه"، ص111. عواطف محمد يونس نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية ، مصدر**

ولقد أخذ طلبة الغرب الإسلامي عن علماء وشيوخ مصر في القراءات والتفسير وممن درس بمصر نذكر على سبيل المثال القاضي محمد بن بشير المعافري(ت198ه/ 813م)[213]، الذي دخل مصر طالباً للعلم[214]، والفقيه أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت205ه/820م) الذي توفي بها[215]، وكـذلك عبد الله بن مـحمد بن قاسم (ت بعد 350ه/961م) الذي رحل إلى المشرق، وأقام بـمصر إلى أن توفـي بها[216] ، وإبراهيم بن حارث بن عبد الملك بن مروان الأنطي المقري(ت391ه /1000م)، الذي سمع بمصر من بعض شيوخها[217]، وكذلك الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن ذنين بن عاصم الصدفي الطليطلي(ت424ه/ 1032م) إلى المشرق ، ولقي بعض علماء مصر[218].

واشتهر العديد من علماء مصر الذين كانوا مقصداً لطلاب العلم, فكان منهم الفقيه المتخصص في القراءات المقرئ عثمان بن سعيد المعروف بورش(ت197ه/ 812م)، وإليه تنسب قراءة ورش[219]، ويقال أنه انتهت إليه رياسة الإقراء بمصر[220]، وعُرف في مدينة الفسطاط صاحب السيرة ، وعالم الأخبار والتاريخ عبد الملك بن هشام(ت213ه/ 828م)[221].

من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين "دراسة تحليلية مقارنة " ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996 ، ص 72 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص181 .

[213] قاضي الجماعة بقرطبة، أصله من باجة، حج ولقي الإمام مالك بن أنس وجالسه وسمع منه، ولما عاد إلى الأندلس استقضاه الأمير الحكم الربضي بن هشام بقرطبة. الضبي، المصدر السابق، ج1، ص ص88– 89 .خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج6 ، ص 52 .

[214] الخشني ، المصدر السابق ، ص 73.

[215] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 23.

[216] من أهل وشقة ، يعرف بابن ملول ، يكنى بأبي محمد ، كان شاعراً ، وفصيحاً .نفسه ، ق1 ، ص ص 230– 231 .

[217] نفسه ، ق1 ، ص 20 .

[218] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 407 .

[219] عثمان بن سعيد بن عدي المصري القبطي ، من كبار القراء , لقب بورش لشدة بياضه ، أصله من القيروان ، ولد وتوفي بمصر. ياقوت الحموي(شهاب الدين بن عبد الله)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب**، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص1601 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص205 .

[220] أحمد مختار العبادي، **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، (د.ت) ، ص30.

[221] يكنى بأبي محمد ، مؤرخ وعالم بالأنساب واللغة والأخبار ، ولد ونشأ في البصرة ، وتوفي بمصر ، وهو مؤلف كتاب السيرة النبوية والمشهور بسيرة ابن هشام . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج7، ص177.خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص166 . أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 36 .

ومن أهم المراكز الدينية والثقافية المعروفة بمصر المسجد الجامع عمرو بن العاص الذي كان يعقد فيه الإمام الشافعي (ت 204ه/819م) حلقاته العلمية[222]، وجامع القاهرة [223] الذي أسس سنة 359ه/970م، وكذلك دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور الفاطمي(386 -411ه/996-1021م) في سنة 395ه/ 1005م ، وغيرها من القصور والمكتبات[224].

ولم يكتف طلبة الغرب الإسلامي بالأخذ عن علماء وشيوخ مصر، بل تعدى ذلك إلى المساهـمة في تنشيط حلقات العلم ومـــمارسة التدريس، ونـــتج عن هذا الاحتكاك العلمي والثقافـي بين الأندلسيين والمصريين ظـــهور مـــدارس بمصر عرفـــت بـاسم شيوخ أندلسيين كما هو الحال مع مدرسة أبي بكر الطـــرطوشـــي (ت525 أو527ه/ 1130أو1132م)[225] لعلوم الدين بالإسكندرية، حيث خصص الطابق الأرضي كمدرسة والطابق العلوي مسكناً خاصاً به، وقعد للتدريس بها إلى أن توفي[226] .

5/ ـحواضر مشرقية أخرى (اليمن ، بيت المقدس ...الخ) :

وردت أسماء لبعض الحواضر الأخرى التي قصدها طلبة الغرب الإسلامي بحثاً وطلباً، واستزادة للعلم، والتي يمكن إجمال بعضها بالاستعانة بالترجمة التي خصصها ابن الفرضي للعالم المحدث محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج(ت380ه/990م)؛ إذ ذكر المدن التي زارها في رحلته العلمية، ومنها التي ذكرت سابقاً، وأسماء مدن أخرى لم

---

[222] محمود محمد الحويري، **مصر في العصور الوسطى " من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني "** ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، ط2 القاهرة ، 2002 ، ص 92 .

[223] ثم غُيرت هذه التسمية بجامع الأزهر من قبل الفاطميين في عصر أبي منصور نزار الملقب بالعزيز بالله(365– 386ه /975– 996م)نسبة للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.حسن خضيري أحمد، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567ه /973-1171م)** ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة ، ص160.

[224] نفسه ، ص 155 وما بعدها .

[225] محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 450ه/1058م فقيه مالكي له معرفة في اختلاف المذاهب، نشأ بالأندلس، له رحلة الى المشرق، فحج، ودخل بغداد والبصرة وبيت المقدس ودّرس بالإسكندرية . ابن فرحون، المصدر السابق، ص371 وما بعدها. الضبي، المصدر السابق، ج1، ص175 وما بعدها. ابن بشكوال المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 838-839 .

[226] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص ص 177-178 .أيمن شاهين سلام، **المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني**، " أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي" ، قسم التاريخ ، جامعة طنطا ، مصر ، إشراف أحمد عبد الحميد خفاجي، 1999 ص60 وما بعدها.

تُذكر من قبل، ومما يلي ترجمة لهذه الشخصية ، وفيها أسماء بعض تلك المدن، حيث قال ابن الفرضي: " رحل إلى المشرق سنة 337ه فسمع بمكة ...،وسمع بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ...، وبجدة ...، وسمع في اليمن ...بصنعاء ...، وبعدن ...، وسمع بمصر ...، ودخل الشام فسمع ببيت المقدس ...، وبغزة ...،وبعسقلان ... ،وبطبرية[227]...، وبدمشق ... وسمع بطرابلس الشام ... ،وسمع ببيروت ... ،وبصيدا ... وبصور ... ،وبقيسارية[228]... ، وسمع بالرملة[229]... ،وسمع بالفَرَمَا[230]... ،وبالإسكندرية ."[231] ، ولقد عاد هذا العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى إلى الأندلس سنة 345ه/956م بعد أن سمع من مائتي شيخاً وشيخ من جميع الأمصار التي زارها بما فيها حواضر الأندلس[232] ، وذكر الضبي (ت599ه/ 1202م) بلاد اليمن لما ترجم للفقيهن والمحدث منتنيل بن عفيف المرادي (ت317ه/929م) وقال بأنه رحل إلى مكة، واليمن[233].

ب)- حواضر الغرب الإسلامي :

1/-الحواضر المغربية:

ساهمت العديد من العوامل التي جعلت مدن العدوة المغربية هي أولى محطات طالب العلم سواء من أهل المغرب أو بالنسبة للأندلسيين في طريق في رحلاتهم العلمية نحو

[227] اسم أعجمي، وطبر بمعنى قفز واختبأ، مدينة من أعمال الأردن بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس، وهي بلدة مطلة على بحيرة وتقع على طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، تشتهر بكثرة الحمامات بها، ووصفت بأنها من عجائب الدنيا، وقيل بناها ملك من الروم يدعى طبارا فسميت باسمه، وافتتحها المسلمون صلحاً سنة 13ه/634م. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص ص 17- 18 .

[228] بلد على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وهي مدينة واسعة ، كثيرة الخيرات وقيل أيضاً أنه توجد مدينة أخرى عظيمة من بلاد الروم بهذا الاسم هي دار مُلك السلاجقة .نفسه ، م4 ، ص 421 .

[229] مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت قصبتها ، وخُربت فيما بعد ، وهي أحد أربطة المسلمين ، ويوجد موضع آخر بهذا الاسم على شاطئ دجلة بالعاصمة بغداد ، والرملة كذلك اسم لقرية بالبحرين . نفسه ، م3 ، ص 69 .

[230] اسم أعجمي لمدينة تقع على الساحل بمصر ، وهي مدينة قديمة تقع بين العريش والفسطاط افتتحها عمرو بن العاص عنوة سنة 18ه/639م وبظاهر المدينة توجد فلاحة النخيل التي تنتج التمر الحسن والذي يُجهز إلى كل بلد ، ولقد خربت ولم يبق لها اثر ، وقيل الفرما هو اسم لحصن على ضفة البحر ، يحيط به السباخ ليس به زرع ولا ماء شرب إلا ماء المطر الذي يخزن ، ويجلبون أهل هذا الموضع الماء من نهر النيل يقطنه الكثير من الأقباط وكذلك العرب ، تشتهر أسواقه بتجارة الشعير والعلف ، إذ هو محطة لتوقف القوافل . نفسه ، م4 ، ص ص 255- 256 .

[231] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص91 – 92 .

[232] نفسه ، ق2 ، ص 92 .

[233] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 635 .

المشرق، والأكيد أن أهم هذه العوامل بالنسبة للأندلسيين هو القرب الجغرافي، إذ لا يفصل بين العدوتين إلا مضيق يسهل العبور منه ، لهذا كان هذا المضيق من أهم قنوات الاتصال بين الضفتين[234] ،كما أن بعض الأحداث السياسية لبعض المدن الأندلسية والمغربية فرضت هجرات لعدد كبير من العلماء بين العدوتين سواء اختياراً أو اضطراراً.

- القيروان[235] :

لقد حظيت مدينة القيروان بمكانة هامة لدى المؤرخين كمنارة ومصدر إشعاع علمي وفكري باعتبارها أعظم الحواضر الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي على الإطلاق فهي أول حاضرة بنيت في الإسلام بإفريقية[236].

ولقد عقدت الرحلة إليها، وكانت قبلة لطلبة العلم من كل بلاد المغرب والأندلس والحاضرة القيروان معروفة منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، وإذا كانت هذه الأخيرة بمثابة محطة عبور للأندلسيين وأهل المغرب نحو المشرق لأداء فريضة الحج أو طلباً للعلم أو للهدفين معاً ، فان بعض العلماء كانوا ينتهزون الفرصة لمقابلة علمائها، وكان الكثير من علماء قرطبة يتوقفون بها باعتبارها عاصمة فكرية لها مكانتها في الحضارة بالغرب الإسلامي[237].

---

[234] سامية مصطفى مسعد، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399ه/ 912- 1008م** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000، ص175 .

[235] مدينة اختطها الصحابي الفاتح عقبة بن نافع (ت63ه/683م)بإفريقية سنة51ه/671م ، تقع على أرض منبسطة فسيحة ، أرضها خصبة خاصة منها الجانب الغربي المعروف بفحص الدرارة حيث يزرع فيه الحبوب ، الغنية بموارد المياه العذبة والسقاية. البكري، المصدر السابق ج2 ، ص ص675- 693. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص19 وما بعدها .موسى لقبال، المرجع السابق ، ص35.

[236] قيل افريقية بمعنى صاحبة السماء، وقال آخرون انها سميت نسبة إلى افريقش بن أبرهة بن الرائش الذي غزا المغرب، وقيل أنها سميت بافريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى ، ورواية أخرى تقول أن الأفارقة وبلدهم افريقية نسبة لفارق بن مصريم ، وهناك من يُرجع اسم افريقية بانها لغة ليبية قديمة سميت ببنت يافوه بن يونش الذي بنى منفيش المدينة المصرية القديمة ، وهي التي ملكت افريقية فسميت بها ، وحدود افريقية تمتد طولا من مدينة برقة شرقا الى مدينة طنجة غربا وعرضا من البحر إلى الصحراء التي هي أول بلاد السودان ، وفي هذه المنطقة يصطاد حيوان الفنك الجيد ، وتتميز بشدة البرد. أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، ج2، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن، أندري فيري، بيت الحكمة، قرطاج، 1992، ص ص 671-672 .

[237]سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 188. محمد طه الحاجري، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1983 ، ص 39 .

وباعتبار أن القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عرف انتشار المذهب المالكي في المغرب والأندلس، مما ساهم في زيادة وكثافة الرحلات التي كانت تعقد إلى القيروان، وهذا لوجود كبار علماء المالكية في هذه الأخيرة كالبهلول بن راشد (ت183ه/799م)، وعلي بن زياد (ت183ه/799م) ، وأسد بن الفرات(ت213ه / 828م) ، وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت 240ه /854م) وغيرهم[238].

ومما يزيد من أهمية حاضرة القيروان العلمية والدينية توافد علماء وفقهاء المالكية من المدينة المنورة للتدريس بها كالفقيه عبد العزيز بن يحيى الهاشمي وذلك سنة225ه/839م ، وفي السنة نفسها حل بالقيروان من مصر الفقيه أبو يحيى زكرياء بن يحيى الوقار (ت254ه/868م)[239].

ولقد شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد نشاطاً مكثفاً للرحلات ما بين قرطبة والقيروان خاصة في موسم الحج، ومن العلماء الأندلسيين الذين قدموا إلى القيروان أبو هارون الأندلسي(ت291ه/903م)[240] الذي نزل في ضيافة حماس بن مروان بن سماك (ت303ه/915م)، وكان عدد من الأندلسيين قد حضروا للسماع من أبي الحسن القابسي (ت403ه/ 1012م)[241].

ولم تقتصر الرحلة بين الأندلس والقيروان على طلبة العلم فقط ، بل شملت القضاة كذلك، وهذا ربما لدافع طلب المزيد من العلم، والاستفادة من الخبرة والتجربة في مجال عمل القضاء، وهو ما حدث مع القاضي أسلم بن عبد العزيز(ت317ه/929م) الذي تولى قضاء قرطبة سنة300ه/912م إلى غاية 309ه/ 921م ثم رحل إلى القيروان ، وسمع من شيوخها كقاضي الجماعة محمد بن عبد الله بن عيسى(ت339ه/ 950م) وغيرهما[242] .

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات ما بين فقهاء القيروان ونظرائهم في قرطبة كانت متينة وهذا راجع ربما لوحدة المذهب – المالكي – فقد كان يشترط من يتصدر الفتيا في الأحكام

---

[238] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 246 .

[239] علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد**، " أطروحة دكتوراه"، كلية التربية، جامعة الموصل، 2003 ، ص 56.

[240] الفقيه، العابد ، الزاهد ، توفي بالمدينة المنورة ، ودفن بمقبرة البقيع . المالكي ، المصدر السابق، ص 516وما بعدها.

[241] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 248 .

[242] الضبي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 294-295. سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 187 .

والشرائع بالأندلس أن يكون حافظاً لموطأ الإمام مالك، ومدونة سحنون بن سعيد التنوخي وغيرهما[243]، وترجع أهمية القيروان العلمية كذلك إلى وجود ما يشبه في عصرنا الحالي معهد لدراسة الطب والصيدلة، وترجمة الكتب اللاتينية، وهو ما عرف ببيت الحكمة والذي كان مقصداً لطلبة العلم من المغرب، والأندلس[244]، واشتهرت هذه الحاضرة العريقة بعالمها المربي الطبيب ابن الجزار(ت369ه/980م) الذي وفد إليه بعض الأطباء الأندلسيين طلباً للاستزادة من العلم والمعرفة والخبرة في ميدان الطب والصيدلة، وكان منهم على سبيل المثال عمر بن حفص بن برتق الذي أخذ عنه الطب، ولزمه ستة أشهر، وعاد إلى الأندلس وأدخل معه كتاب زاد المسافر، وخدم الطب الخليفة عبد الرحمن الناصر[245]، وزيادة على ما سبق فقد كان المسجد الجامع بالقيروان من أقدم المساجد ومصدر الإشعاع العلمي والفكري الأول في تاريخ الغرب الإسلامي ، بالإضافة إلى جامع الزيتونة بتونس الذي يعد كذلك من أقدم الجامعات في العصور الوسطى حيث كانت تدرس فيه علوم اللغة، والتاريخ، والفقه[246].

-تونس:

يعود الفضل في إنشاء مدينة تونس إلى الفاتح والوالي حسان بن النعمان الغساني **(71-85ه/690-704م)** الذي أسسها سنة 84ه/ 703م ، وأصبح لهذه المدينة دور حضاري بفضل جامعها " الزيتونة" الذي أسسه الوالي عبيد الله بن الحبحاب السلولي (116-123ه/734-741م)سنة 116ه/ 734م، وهو الجامع الذي وصفه العبدري في رحلته: " من أحسن الجوامع، وأتقنها، وأكثرها إشراقاً".

ومن العلماء الذين اشتهروا بتونس الفقيه خالد بن عمران التجيبي (ت 127ه/ 744م) الذي جمع الأحاديث النبوية وشرحها، والفقيه علي بن زياد العبسي (ت 183ه/ 799م) الذي أدخل

---

[243] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص79. بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 248.

[244] رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص51. حسين مؤنس **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1 بيروت، 1992،ج1، ص 133 .

[245] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 79. ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 490 – 491.

[246] البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص22. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4 ص421. زيغريد هونكه ، المرجع السابق ، ص 396.

موطأ الإمام مالك إلى المغرب، والعلامة زيد بن بشر الأزدي (ت 242ه/ 856م) فقيه المغرب الذي سمع عنه طلاب المغرب في عصره.

والجدير بالذكر فإن تونس برز إشعاعها الثقافي بشكل اكبر في فترة حكم الحفصيين(627-976ه/ 1228-1569م) بحكم انها كانت عاصمة حكمهم، وقد تفاوت انتشار العلوم بها ؛ فلم يحظ تفسير القرآن بالقدر الكافي من الاهتمام لهذا نلاحظ غياب مفسرين كبار من اهل افريقية ما عدا محمد بن عرفة (عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، ونفس الحال بالنسبة لعلم الحديث .

وعلى النقيض من ذلك كان النصيب الأكبر لعلم الفقه على مذهب الإمام مالك الذي كان عليه مدار الدراسة في مختلف الحلقات العلمية، ومن أهم المراجع الرائجة في هذا العلم رسالة أبي زيد القيرواني، ومدونة سحنون وشروحها.

وأما العلوم الـأدبية واللغوية فقد كان الاعتناء بالنحو بشكل أساسي، والكتب المتداولة لدراسة هذا العلم هي كتب الجمل للزجاجي، والمفصل للزمخشري، وديوان الحماسة لابي تمام، ومقامات الحريري.

وفيما يتعلق بالعلوم الطبيعية فقد كان الاشتغال بعلم الفلك من أجل تحديد أوقات الصلوات، واتجاه القبلة واما علم الحساب فقد استخدم في الفرائض والمواريث.

-تاهرت[247] :

تعد مدينة تاهرت من أهم المراكز الثقافية في المغرب الأوسط ، فقد عمل أئمة وحكام الدولة الرستمية على تشجيع الحركة العلمية والثقافية[248]، وساهموا في نشر العلم، وتوفير

---

[247] اسم لمدينتين متقابلتين في المغرب الأوسط يقال لإحداها تاهرت القديمة وقد اندثرت، وعلى خمسة أميال منها تقع تاهرت المحدثة أو تاهرت السفلى، وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب باب الصفاء أو الغزا، باب المنازل، باب الأندلس باب المطاحن تقع على سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، اشتهر موقعها بشدة البرد وكثرة الغيوم والأمطار والثلوج، كما اشتهرت بإنتاج مختلف أنواع الثمار. البكري، المصدر السابق، ج2، ص ص733-734. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص17. الحميري، المصدر السابق، ص ص 126-127. وهناك من يرى أن المقصود بتاهرت بمعنى محطة أو إقامة باعتبار أن موقعها كان محطة لتوقف القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من الشرق(القيروان) ومن الغرب (فاس وسجلماسة)ومن الجنوب (الصحراء والسودان الغربي)، ومنهم من يرى بأن المصطلحين هما في الأصل من اللهجة الزناتية البربرية بمعنى اللبؤة. جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007، ص284. أحمد بوزيان، **تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين**، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص12 .

العلماء حتى أصبحت تاهرت قبلة لطلاب العلم، وقصد بعضهم علماء الإباضية، وتتلمذوا عندهم في العلوم العقلية من رياضيات، وطب، وكيمياء، وغيرها[249] ولقد عرفت عاصمة الرستميين تاهرت ، وبعض مدن الغرب الإسلامي كقرطبة مثلًا تبادل الهجرات العلمية[250].

ولقد كان الكثير من العلماء في الغرب الإسلامي يمرون على تاهرت في طريق رحلاتهم العلمية، ونذكر منهم على سبيل المثال من الأندلس الفقيه النحوي الغازي بن قيس(ت199ه/ 814م)[251]، وحفيده محمد بن عبد الله (ت بعد 296ه/908م) ، وفي المقابل عرفت الأندلس توافد الكثير من العلماء الرستميين بما يشبه التبادل العلمي والثقافي بين البلدين، وكان من العلماء التاهرتيين الوافدين إلى الأندلس أبو زيد عبد الرحمن بن بكر بن حماد(ت295ه/907م)[252]، وكذلك أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البزاز (ت395ه / 1005م)[253].

وعن طريق بني رستم نجح أمراء بني أمية في الأندلس بواسطة رسلهم وعلمائهم في الحصول على ما يحتاجون إليه من كنوز، ومؤلفات المشرق ، وأصبح علماء تاهرت بمثابة ذلك الوسيط الثقافي بين المشرق والأندلس[254]، دون التقليل من جهد علماء الأندلس الذي وصلوا إلى حواضر المشرق الأخرى ، ونقلوا ما نقلوا منها وعادوا بها إلى الأندلس .

---

[248] عبد العزيز فيلالي، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس 1991 ،ص97. مارمول كرباخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1988، ج3، ص97 .

[249] عصام عبد الرؤوف الفقي ،**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ص 156.

[250] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 193 .

[251] غازي أو الغازِ بن قيس الأندلسي، من الموالي ، يكنى بأبي محمد ، كان مؤدباً بقرطبة ، روى عن الإمام مالك كتاب الموطأ من حفظه ، وهو أول من أدخله إلى الأندلس ، وكان يحظى باحترام وتقدير الخليفة عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، وعرض عليه القضاء فرفض. الضبي ، المصدر السابق ج2 ، ص 575. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 113.

[252] أصله من القيروان ، ولد وتعلم ونشأ بتاهرت ، ثم رحل إلى الأندلس ، وجلس للتدريس والتفسير والحديث بقرطبة وبها توفي . ابن الفرضي المصدر السابق ، ق1 ، ص 268. عبد القادر بوباية، **إسهام التاهرتيين في الحركة العلمية بالأندلس**، مجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون تيارت، عدد خاص أكتوبر 2009، ص176 .

[253] ولد بتاهرت سنة 309ه/921م ،وحل مع أبيه بقرطبة وهو ابن ثاني سنين ، وسكن بها بالقرب من مسجد مسرور وكان أبوه محدثاً ، ووصف بأنه كان شيخاً صالحاً زاهداً ، منقبضاً عن الناس. ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 140 . عبد القادر بوباية ، المرجع السابق ، ص 176.

[254] نفسه ، ص 175 .

وقد نتج عن هذا الدور الثقافي للرستميين نحو الأندلس أن ظهر تأثير إباضي تاهرتي في الأندلس، وذلك في مناطق الالتقاء والتبادل التجاري بين الرستميين والأمويين، وتجسد في منطقة قرية بلفين التابعة لمدينة المرية الأندلسية ، والتي كان أهلها على المذهب الإباضي، وكذلك جزيرة يابسة(Ibiza) التي أشار إليها الباحث محمد عيسى الحريري بأنها كانت إباضية إلى غاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد [255] .

واشتهرت تاهرت باحتضانها مكتبة ضخمة عرفت باسم المعصومة[256]، والتي كانت تحوي نحو ثلاثمئة ألف كتاب في مختلف العلوم، ويرجح أنه استفاد منها طلبة العلم الأندلسيين الذين توافدوا على تاهرت أو الذين مروا عليها أثناء رحلاتهم ، والمؤسف أن هذه المكتبة الجليلة قد أحرقت من طرف الشيعة، وهذا للقضاء على آثار وتراث الفكر الإباضي المعادي لهم [257].

-تلمسان:

ظهر الإشعاع الحضاري لتلمسان أكثر في عصر حكم الزيانيين بداية من سنة 633ه/ 1235م، وازدهرت بها الحركة العلمية نتيجة لعدة عوامل، ومن بينها: تشجيع الحكام للعلم والعلماء، وتنافسهم مع حكام المغرب الإسلامي في مجال العلوم والآداب، وبناء المؤسسات التعليمية، زيادة على هجرة العلماء الأندلسيين إلى الدولة الزيانية بسبب الظروف السيئة التي كانت تمر بها الأندلس من تكالب الصلبيين عليها.

ولقد كان التعليم منتشرا في مختلف المدن الزيانية خاصة في العاصمة تلمسان، وكان ينحصر في المرحلة الأولى في تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ويتم هذا في الكتاتيب أو المساجد، وفي المرحلة الثانية يقبل الطلبة على دراسة النحو، واللغة، والأدب، والفقه، وبهذه العلوم يكون الطالب قد بلغ مستوى علمي مقبول لمعرفة أمور دينه والإلمام بالعلوم اللسانية، ومن أراد مواصلة دراسته ينتقل إلى المرحلة الأخيرة فيدرس العلوم الدينية من قراءات، وتفسير،وحديث وفقه، وتوحيد، والعلوم الأدبية ، والاجتماعية والعقلية بمزيد

---

[255] نفسه . الحريري محمد عيسى ، المرجع السابق، ص 221 .

[256] وهو اسم لقصبة مشرفة على السوق بتاهرت. البكري، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 733. ياقوت الحموي ، المصدر السابق م2 ، ص17 . الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 126.

[257] الحريري محمد عيسى ، المرجع السابق ، ص 220. سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 194.

من التعمق والتفصيل، وهذا بمسجد تلمسان الأعظم الذي كان شبه جامعة على النمط القديم مثل جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس.

-أشهر العلوم بتلمسان الزيانية :

1-**العلوم الدينية:** ازدهرت العلوم الدينية بالمغرب الأوسط طيلة العصر الزياني، إذ كان تولي الوظائف لا يكون إلا بعد إلمام من العلوم الدينية خاصة في القضاء الذي لا يتولاه إلا الفقيه، وغيره من المناصب الإدارية الأخرى كالكتابة، والبريد...الخ، ومن العلماء الذين كان لهم باع في العلوم الدينية أبو إسحاق التنسي(ت680ه) إبراهيم بن يخلف الذي رحل من تنس إلى تلمسان بطلب من حاكمها يغمراسن بن زيان، وتحلق حوله طلبة العلم ومن تلاميذه أبو عبد الله بن مرزوق، ومن أشهر مؤلفاته: شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع في عشرة أجزاء، ضاع كله بسبب الحروب والحصار.

2-العلوم اللسانية: ومن أشهر العلماء في هذا المجال أبو عبد الله بن هدية (ت735ه)، وهو محمد بن منصور القرشي التلمساني، من نسل عقبة بن نافع، كان كاتبا، أديبا فقيها، مؤرخا، بصيرا بالوثائق.

3-العلوم الاجتماعية: ازدهرت العلوم الاجتماعية بالمغرب الأوسط ؛ فانتشر التصوف بشكل كبير، والتاريخ والجغرافيا والتراجم والمنطق، ومن أشهر من نبغوا في هذا المجال **عبد الحق البجائي (ت675ه)**، وهو أبو محمد بن ربيع الأنصاري أصله من أبدة بالأندلس، ولد ونشأ ببجاية ، حذق في العلوم الدينية، والمنطق، والحساب، ومال إلى التصوف، وله قصيدة صوفية، وأبو العباس الغبريني (ت704ه)، وهو أحمد بن أحمد بن عبد الله، أخذ عن علماء بجاية، وتونس، والأندلس،ولي القضاء ببجاية إلى أن توفي ، ومن مؤلفاته كتابه المشهور بعنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية.

4-العلوم الطبيعية: التي تشمل علم الفلك، الرياضيات، الطب، والكيمياء، وقد انتشرت بالمغرب الأوسط انتشارا كبيرا، ومن العلماء الذين نبغوا فيه أبو عبد الله بن النجار التلمساني (ت749ه)، وهو محمد بن علي، المراكشي الأصل، ولد ونشأ بتلمسان، نبغ في العلوم العقلية، ودرس بتلمسان بعد عودته من رحلته العلمية، ومن تلاميذه المقري الكبير جد المقري التلمساني صاحب موسوعة نفح الطيب.

ـ فاس[258] :

تشير بعض المصادر مثل المسالك والممالك للبكري ، وبعض الدراسات مثل ما قدمه السيد عبد العزيز سالم أن أولى الرحلات الجماعية الأندلسية التي وفدت إلى مدينة فاس استقرت في جزء من هذه المدينة ، وأطلق على هذا الجزء عدوة الأندلسيين ابتداءً من سنة 192ه/807م[259]، وبلغ عدد هؤلاء الذين فروا من الأندلس بعد حادثة الربض سنة 189ه/ 804م حوالي ثمانية الاف بيت حسب رواية ابن أبي زرع [260].

وربما أسباب حيوية، ونشاط حركة التنقل بين قرطبة، وفاس تعود إلى حفاوة استقبال إدريس بن إدريس(ت213ه/828م) مؤسس فاس للأندلسيين ، وتقريبهم ، ودليل ذلك أنه عين من هؤلاء العلماء الأندلسيين الوافدين عمير بن مصعب الأزدي (ت نحو225ه/840م)[261] في منصب الوزارة، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي في القضاء، وربما هذا التوقير والاحترام شجع العلماء الأندلسيين على الهجرة نحو فاس خاصة أتباع مذهب الإمام مالك[262].

ولقد كان الكثير من أمراء فاس الأدارسة من محبي طلب العلم ،ومجالسة العلماء ، منهم مثلاً أحمد بن إبراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد)[263]، وكذلك يحيى بن إدريس بن عمر(ت332ه/943م)[264] الذي كان يشهد مجلسه الكثير من العلماء والشعراء ، وينسخ له عدد من الوراقين [265].

---

[258] تأسست على يد ادريس الثاني(177-213ه/793-828م) في سنة 192ه/726م.ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 31 ، 38 .

[259] البكري، المصدر السابق،ج2 ص795 وما بعدها .السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص224 .

[260] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972، ص47 . بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 240 .

[261] تنسب اليه عين عمير التي تقع على رسخين من مدينة فاس. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، 89.

[262] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 240 .

[263] من العلماء الأدارسة الأجلاء ، كان يحفظ السير والتواريخ ، كما كان نسابة ، ويعرف بأحمد الفاضل ، واشتهر بميله وتعاطفه الشديد لبني أمية الأندلسيين حيث استأذنهم في دخول الأندلس للجهاد سنة332ه/943م. البكري، المصدر السابق، ص 130 . بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 242 .

[264] تولى الحكم سنة 292ه/904م الى غاية نفيه من قبل الشيعة 309ه/921م، اشتهر بالعدل والكرم ، واحترام العامة له ، وكان فقيهاً ،حافظاً للحديث ، فصيحاً ، ديّناً ، ورعاً . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 80-81.

ومما لا شك فيه أن عدداً كبيراً من أهل مدينة فاس كانوا من الأندلسيين الذين استقروا بها خاصة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث سيطر الأمويون الأندلسيون على بعض المدن المغربية الشمالية الساحلية لهذا، فازدهار الحركة العلمية ،ونشاط العلماء كان مواكباً للوجود الأموي في الأجزاء المغربية السابقة الذكر، علماً أن بعض الباحثين ومنهم مثلاً الأستاذ عبد القادر بوباية وصفوا بأن عصر الخلافة الأموية بمثابة ذروة الحضارة الإسلامية في الأندلس[266]، وبالتالي لا مناص أن ينتقل هذا الإشعاع الحضاري إلى العدوة المغربية أينما وجد العلماء الأندلسيون بها .

ومهما يكن من الأمر، فقد كان للحاضرة فاس دور إيجابي في التكوين العلمي والمعرفي لطالب العلم في الغرب الإسلامي سواء الطالب المحلي أو الوافد إليها من مختلف البلاد وخاصة من الأندلس، أو التي جاءت في طريق رحلته نحو المشرق، إذ لابد من الإشارة إلى أهمية، ودور جامع الأندلسيين بفاس ، الذي كان يضم خليطًا من المغاربة وعرب المشرق والأندلسيين، إذ كانت تعقد فيه المناظرات العلمية، والمجادلات الفقهية، وكذلك في جامع القرويين، ولقد ساهمت هذه الأجواء والمنافسات العلمية، والمناقشات في التحصيل العلمي للطالب الأندلسي المرتحل، والتقرب من علماء هذه الحاضرة كما ساهمت كذلك في الإبداع الفكري والثقافي من خلال تأليف الكتب والمصنفات، مما يؤدي إلى تزايد عدد المكتبات التي ساهمت المساجد في ظهورها في البدء باعتبار أن المسجد كان بمثابة المركز الذي يرعى هذه المناقشات الفكرية[267]، هذه المكتبات وما تحتويه من ذخائر الكتب هي بدورها يستفيد منها الطالب الأندلسي في بحثه، ورحلته العلمية .

2/- الحواضر الأندلسية:

1 – قرطبة[268] :

اشتهرت قرطبة كأهم حاضرة من الحواضر الأندلسية التي قصدها طلبة العلم ليس من الأندلس فقط ، وإنما من خارجها كذلك، ويرجع دورها الحضاري الريادي منذ أن اتخذها

---

[265] بشير رمضان التليسي، المرجع السابق ، ص 242 .

[266] عبد القادر بوباية ، المرجع السابق ، ص 178 .

[267] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 245 .

[268] قاعدة الأندلس وأهم مدنها، ومستقر وعاصمة خلافة الأمويين بها، تقع على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس. الحميري (محمد بن عبد المنعم)، المصدر السابق، ص 456 . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 324 .

الأمير عبد الرحمن الداخل عاصمة له، واتبعه في ذلك خلفه من الأمويين بعده، كما تدين قرطبة لجامعها الأعظم بالفضل في شهرتها ، هذا المسجد الجامع الذي أعاد بناءه عبد الرحمن الداخل سنة 169ه/785م بعد أن ضم إليه كنيسة قديمة ، ولقد أتم هذه الزيادة خليفته هشام من بعده ، ثم زاد فيه من تبعهما إلى غاية أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي وقد وصف بأنه من أعظم مساجد الأندلس.[269]

وأصبحت قرطبة موطناً للفقهاء، والأدباء، والشعراء، والفلاسفة، والعلماء من مختلف ميادين المعرفة؛ إذ ذكر المقري التلمساني نقلاً عن الحجاري صاحب المسهب قوله: "كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام الأعلام (...) وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب..."[270] ، واشتهرت الحاضرة قرطبة ضمن أكثر مدن أوروبا سكاناً ، إذ بلغ عدد سكانها لوحدها في أزهى عصورها- عهد عبد الرحمن الناصر- نحو نصف مليون نسمة[271] ، وذاع صيتها في كل الأرجاء في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ونشطت الحركة العلمية فيها حتى أصبح اسمها يرتبط بالعلم ، والذي أصبح من معالمها البارزة التي يتفاخر بها أبناؤها[272].

كما وفد علماء من المشرق في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350ه/912-961م) إلى قرطبة، إذ حلّ سنة 330ه/941م اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم

---

[269] المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ص193.حسن عبد الحميد جبر المالكي، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها** ، دار لكتاب الحديث، ط2، الكويت، 1999، ص215. إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص302. محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس** ، دار الكتب ،(د.ب)، 1990 ، ص268. شوقي ضيف ، **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب** الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 1998 ، ص164 .

[270] المقري التلمساني، المصدر السابق،ج2 ،ص7.السيد عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية ، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997،ج2، ص160.

[271] رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج2، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 56.

[272] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص159.عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تحقيق أحمد بن ميلاد ، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 بيروت، 1987، ص 99 .

القالي(ت356ه/967م) ، ولقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب ولده وولي عهده الحَكَم، وأهدى القالي كتابه الأمالي إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر[273] وبوفود القالـــي إلى قرطبة ازدهرت حركة الدراسات اللغوية والأدبية أكثر، فعليه تتلمذ نخبة من طلبة العلم ومنهم أبوبكر الزبيدي(ت376ه/989م)، وابن العريف الحسين بن الوليد (ت390ه /1000م) وغيرهم [274].

وعرفت قرطبة في عهد الحكم المستنصر(350-366ه/961-977م) نهضة علمية واسعة نتيجة الرخاء والثراء، واشتهر الحكم باهتمامه، وحبه للعلم، وتوقير العلماء، وشغفه للكتب جمعاً وقراءةً ، وفي بعض الأحيان تذييلها بتعليقاته وإضافاته ، بل وُصف بأنه كان خليفةً وعالماً مشاركاً في علوم عصره ، واشتهر بإتقانه لعلوم الشريعة حتى قيل أنه سمع منه الحديث بعض الشيوخ وأجازهم ما روى لهم ، وأجازوه ما رووا له[275]، إذ سمع من قاسم بن أصبغ (ت 340ه/951م)، وأحمد بن دحيم ، وغيرهما [276] .

وشجع الخليفة الحكم العلماء في نشر مؤلفاتهم حتى يستفيد منها الناس في مجالات العلوم الرياضية والفلك والطب والصيدلة ، ونتج عن هذا ظهور مدرسة أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي(ت427ه/1036م)في الطب، وأبي الحسن علي بن سليمان الزهراوي(عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد)في الهندسة[277].

ولم يقتصر على تشجيع العلماء المسلمين فقط بل كذلك غير المسلمين ، وهذا لمكانة جامع قرطبة الذي يعد من الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء من أجل الدراسة والتحصيل ، ومن العلماء المسيحيين الذين برزوا في هذا العصر أسقف النصارى ريثموندو الألبيري المشهور باسم ربيع بن زيد

---

[273] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص173.

[274] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 164 .

[275] حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 383.

[276] المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1، ص 307. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 163 .

[277] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص70 .المقري التلمساني، المصدر السابق، ج4، ص20. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 165 .

الذي كان متمكناً في مجال الآداب العربية واللاتينية ، واشتغل بوظيفة المترجم الرسمي أو ما يعرف بكبير المترجمين للخليفة الحكم المستنصر[278] .

أما في عصر ملوك الطوائف فقد ازدهرت الحركة العلمية بقرطبة أيام حكم الوزير الأديب أبي حزم بن جهور(ت435ه/1043م) فظهر علماء أجلة في مختلف المجالات والاختصاصات كالفقيه الظاهري ابن حزم (ت456ه/1063م)، والوزير الشاعر ابن زيدون (ت463ه/1071م) وغيرهم .

مما سبق ذكره يتضح أن قرطبة عرفت ازدهاراً عظيماً في مختلف العلوم والآداب والفنون جعلها بحق من أعظم الحواضر العلمية والثقافية في الغرب الإسلامي ككل ، فكانت قبلة ومقصداً لطلبة العلم .

والملفت للانتباه أن الحركة العلمية بقرطبة لم تصل إلى ذروتها إلا في عصر الخلافة، وبالأخص في ظل حُكم الحَكم المستنصر ، ولولا العلم لما وصل المنصور محمد بن أبي عامر إلى السلطة بعد أن قصد قرطبة طالباً للعلم فقط .

2 – اشبيلية [279] : التي ازدهرت بها الحركة العلمية مثلها مثل باقي الحواضر الأندلسية حتى أنه كثر فيها الشعراء والأدباء وأهل الفن والموسيقى، فعُرفت بمدينة الأدب والطرب, واشتهر أهلها بحبهم للهو، وضرب بهم المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزمن ساعة بساعة على حد وصف المقري[280]، ويرجع شغفهم بالغناء ربما لتأثرهم بشخصية زرياب(ت238ه/852م) مغني الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(206–238ه/ 822–854 م)[281] كما انتشرت بها المكتبات العامة انتشاراً واسعاً ، وعرفت هذه الحاضرة نهضة أدبية بلغت ذروتها في عصر ملوك الطوائف أثناء حكم بني عباد[282].

---

[278] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 389 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 307 .

[279] تعرف بالمدينة المنبسطة، تقع غرب قرطبة، تشتهر بالألبان، وبزراعة وتجارة القطن ، وقصب السكر. العذري (أحمد بن عمر بن أنس)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، (د.ت) ،ص ص 95 – 96 .

[280] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 172 .

[281] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق، ص 200 .شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 147 – 152 .

[282] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ص 198 – 199 .

ولقد اشتهر في اشبيلية العديد من العلماء الذين قصدهم طلبة العلم من باقي حواضر الأندلس وخارجها فكان منهم على سبيل المثال الأديب محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي(ت379ه/989م) الذي يعد وحيد عصره في علم النحو واللغة، وقد استأدبه الحكم المستنصر لابنه هشام المؤيد تعليمه علم الحساب والعربية[283] وكذلك إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الاشبيلي (ت420ه/1029م) الذي كان بصيراً بالعلوم الرياضية ، وهو أحد المتكلمين الأندلسيين ،كما كانت له مشاركة في مختلف تخصصات المعارف والعلوم[284] .

3 – طليطلة [285]: فقد اشتهرت كأحد أهم المراكز الثقافية في الأندلس ، وانتشرت بها المكتبات العامة والخاصة وساعد في شهرتها ، وتميزها صناعة الورق ووفرته بها الذي لا مثيل من حيث الجودة[286]، وكذلك مسجدها الجامع ومسجد الباب المردوم الذي على الرغم من صغر مساحته إلا أنه يعد أهم مسجد في الأندلس بعد جامع قرطبة من حيث الجانب الفني المعماري[287] .

وبرز الدور الحضاري لمدينة طليطلة أكثر في عصر ملوك الطوائف تحت حُكم أسرة بني ذي النون البربرية[288] وعاشت هذه الأسرة حياة الترف والبذخ ، ومما يُحسب لملوكها أنهم شجعوا الأدباء والشعراء على إقامة مجالس الشعر والطرب ، وبهذا كانت طليطلة من أكبر حواضر الأندلس الثقافية في مجال الأدب والشعر والموسيقى[289] .

---

[283] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 89-90 .سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص199 .

[284] كرد علي، **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية، ط1، 1923، ص61 .

[285] عاصمة الثغر الأدنى، وقد قيل أن المقصود بطيطلة بمعنى أنت فارح أو فرح ساكنها لحصانتها ومنعتها، وتسمى كذلك مدينة الأملاك حيث قيل كذلك أنه ملكها اثنان وسبعون إنسانا عند المقري، ولساناً عند الحموي، ومدينة عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي، تشتهر بإنتاج نبات الزعفران، والصمغ. البكري، المصدر السابق، ج2، ص907. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص8. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص ص39-40 .المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 140 .

[286] سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 200 .

[287] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص402 .

[288] من بربر هوارة،واستقروا في عهد الإمارة ببلدة شنتمرية بالقرب من طليطلة. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص418 .

[289] المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج1 ، ص340. السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة ، ص 105.

ومن العلماء الذين اشتهروا بطليطلة وانتسبوا إليها الفقيه العلامة عيسى بن دينار بن واقد الغافقي (ت212ه /827م)[290] الذي كانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد حتى قيل أنه كان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي (ت234ه/848م)[291]، وكذلك الفقيه والمحدث محمد بن عبد الله بن عيشون(ت341ه/952م)[292].

وتجدر الإشارة على أن الإشعاع العلمي والفكري لم يقتصر على الحواضر الأندلسية الثلاث السالفة الذكر وإنما قدمناها كنماذج فقط على سبيل المثال لا الحصر، فلا يتسع المجال والحال لذكرها كلها، إذ لا يمكن الإغفال على أن معظم حواضر الأندلس كانت بمثابة منارات للعلم ومحط اهتمام طلابه، وقد تميزت كل حاضرة بخاصية وميزة معينة تنفرد بها عن غيرها أو تشترك معها خاصة في عصر ملوك الطوائف الذي تسابق فيه ملوك الطوائف لاحتضان العلماء، فقد كان بعضهم يحسبون ضمن نخبة الأدباء ، والشعراء ، والعلماء أمثال بنو عباد في اشبيلية في مجال الأدب والشعر، وبنو هود في سرقسطة في مجال الفلك .

3/ دور الحواضر في نشاط الرحلة العلمية بالغرب الإسلامي:

ساهمت الحواضر ومراكز الإشعاع العلمي والثقافي في تنشيط الرحلة العلمية هو ما أثر إيجابا على الحركة الفكرية لبلاد الغرب الإسلامي، فكان من فوائد الرحلة إلى تلك الحواضر تكوين شخصية طالب العلم من خلال البحث، والسماع من العلماء مباشرةً أو من تلاميذهم، الرحلة العلمية تعبر عن تخطي الطالب المرحلة الأولى من مراحل التعليم، التي كان يقتصر التعلم فيها على الكتاتيب، والمساجد، وفي بعض الأحيان المرحلة الثانية التي يضاف إلى أماكن التعليم السابقة بيوت العلماء، فكان لابد للطالب البحث عن المشايخ والعلماء من خارج نطاق الحاضرة التي يقطن فيها المتعلم إلى حواضر أخرى سواء داخل القطر الواحد، أو نحو خارج البلاد، فكان المقصد لطلبة الغرب الإسلامي حواضر المشرق الإسلامي خاصة منها حاضرتي الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما جاء من حواضر في طريقهما سواء في الذهاب أو الإياب ، بل الأكثر من ذلك شد الرحال إلى ما وراء تلك الحاضرتين ،كحواضر اليمن والعراق والشام .

---

[290] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص 331.

[291] نفسه . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج4 ، ص49 .

[292] يكنى بأبي عبد الله ، سمع بطليطلة ، وبقرطبة ، ثم رحل إلى المشرق، وسمع من المحدثين ، ولما عاد الى الأندلس اشتهر بالعلم فأُخذ عنه ، توفي بطليطلة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 61.

أ) - الرحلة إلى الحواضر المشرقية ودورها في انتشار الكتب في الغرب الإسلامي:

بدأت الرحلة من وإلى المشرق منذ عهد مبكر خاصة مع قيام دولة بني أمية في الأندلس، فقد حرص هؤلاء الرحالة على جلب وإحضار الكتب المشرقية، وإدخالها إلى الأندلس وكذلك العكس، إذ نقل هؤلاء الكتب الأندلسية إلى المشرق في مختلف المواضيع و المجالات سواء الدينية أو اللغوية أو العلمية[293].

وما يمكن ملاحظته في حركة نقل الكتب المشرقية إلى الأندلس في البدايات الأولى بعد الفتح الإسلامي وقيام الدولة الأموية أنها كانت ترتكز أكثر على الاهتمام بكتب العلوم الدينية بالدرجة الأولى، ثم كتب الأدب المشرقية الشهيرة في المقام الثاني، ثم الكتب العلمية في مجال الرياضيات والفلك والفلسفة ...وغيرها[294].

وعلى سبيل المثال لا الحصر فمن بعض الرحلات التي أدخل أصحابها العديد من الكتب إلى الأندلس نذكر الفقيه عبد الرحمن بن دينار الواقدي (ت 212ه /827م) الذي أدخل كتب الفقه المالكي والكتب المعروفة بالمدينة المنورة إلى الأندلس [295].

ورحل الفقيه والمحدث والأديب والشاعر قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت302ه/914م) هو وأبوه إلى المشرق، ورجعا بعلم كثير حتى قيل أنهما أول من أدخل إلى الأندلس كتاب العين في اللغة والعروض للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170ه/ 786م)[296].

كما رحـــل أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القرطبي(ت273ه/886م) إلى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس المعروف بأبي تمام(ت273ه/886م)ديوان شعره وأدخله إلى الأندلس روايةً عنه[297]، وعاد محمد بن عبد الله ابن الغازي بن قيس(ت296ه/908م) القرطبي من المشرق فأدخل إلى الأندلس علماً كثيراً من الشعر وغريبه، وعنه أخذ الأندلسيون الأشعار المشروحة روايةً[298] .

---

[293] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص58 .

[294] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 150 .

[295] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 257 .

[296] نفسه ، ق 1 ، ص 361 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص217.

[297] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 302 .خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 151 .

[298] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 22 – 23 .

وروى ابن بشكوال أن الحافظ المحدث سلمة بن سعيد بن سلمة الشافعي المذهب (ت406ه/ 1015م) رحل إلى المشرق وحج وأقام بالمشرق ثلاثاً وعشرين سنة يجمع في الكتب ، وأدب في بعض الحواضر وفي طريق عودته إلى الأندلس ساق نحو ثمانية عشر حملاً مشدودة من الكتب في مختلف مجالات العلوم، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله معه إلى المشرق[299] .

كما أن بعض رجال الأسر الحاكمة في الأندلس كانت لهم مشاركة في جلب بعض الكتب المشرقية ، فقد ورد أن حبيب بن الوليد الملقب بدحون(ت بعد200ه/815م) رحل إلى المشرق ولقي بعض علماء الحديث وكتب عنهم ورجع إلى الأندلس بعلم كثير[300]، وكذلك ابن الأحمر محمد بن معاوية (ت365ه/975م) الذي يُنسب إليه أنه أول من أدخل إلى الأندلس مصنف النسائي (ت303ه /915م) في السنن ، وقد حدّث به في الأندلس[301].

ولم تقتصر المساهمة في رواج الكتب بالأندلس على العلماء العائدين من المشرق والحكام ورسلهم وأعوانهم بل كان للتجار دور في هذا الشأن، وقد كان قصدهم في هذا النشاط التجارة والربح ، أو الإهداء لطلبة العلم والمتعلمين كما جرى الحال مع أبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري (ت349ه /960م)[302]، وكذلك أحمد بن خالد بن قبيل بن يبقى الجذامي القرطبي التاجر(ت378/988م) الذي أدخل إلى الأندلس" كتباً غريبة تفرد بروايتها فسمعها الناس منه ولم يكن له فهم (...)ولا كان يقيم الهجاء إذا كتب، غير أنه كان رجلاً صالحاً صدوقاً "[303] وكان محمد بن عبيد الله بن أيوب الدباج(ت317ه/929م) لاشتغاله بعمل الديباج والذي كانت كتبه بخط الوراقين وهو ثقة سمع منه الناس في القيروان والأندلس[304].

وساهم الغرباء الوافدون إلى الأندلس في إدخال بعض العلوم روايةً فكان منهم على سبيل المثال علي بن بندار بن إسماعيل البرمكي(كان حيّا337ه/ 948م) وهو من أهل بغداد وقد قدم إلى الأندلس تاجراً وأدخل كتابي" الموضح"، " والمنجح" في الفقه لأبي الحسن عبد

---

[299] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 351 .

[300] نفسه . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[301] الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 166 .

[302] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص ص 61-62. خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[303] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 55 – 56 .خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص ص 152 – 153.

[304] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 37 -38 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 153 .

الله بن أحمد المغلس الداودي الظاهري(ت324ه/935م)[305]، وجاء أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال(ت311ه/923م) إلى الأندلس حيث أدخل معه بعض كتب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيـــــبة(ت276ه/889م) روايةً، وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ (ت255ه /869م) روايةً كذلك ورجع إلى المشرق بعد أن تردد أعواماً في الأندلس[306] .

ولقد ساهمت الرحلة في رواج وانتشار بعض الكتب ورسائل الفقهاء، ومنها الرسالة التي بعثها الفقيه القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي(ت386ه/ 978م) إلى علماء ومربي ومعلمي الأندلس، ووصلت نسخة منها إلى العالم الأندلسي أبي بكر محمد بن زرب القرطبي(ت381ه /991م)، وتتكلم هذه الرسالة عن تعليم أبناء المسلمين مبادئ عقيدتهم[307].

والجدير بالذكر أن الأندلسيين لم يتقبلوا كل ما ألفه علماء المشرق الوافدون إلى الأندلس أو محتوى تلك الكتب القادمة من المشرق، بل لقيت بعض الكتب الحذر، وفي بعض الأحيان الرفض، وهو ما جرى عندما طعن أدباء الأندلس في محتوى كتاب الفصوص في الأدب والأشعار، والأخبار للأديب اللغوي صاعد بن الحسن البغدادي (ت410 أو417ه/1019 أو 1026م) حتى أنهم رموه في النهر، وسبب ذلك أن المنصور بن أبي عامر طلب من صاعد أن يُؤلف له كتاباً في اللغة لم يؤلفه أحد من قبله، وهو يقتفي بذلك أثر أبا علي البغدادي حينما ألف كتاب الأمالي للخليفة الحكم المستنصر، ويرجع رفض علماء وأدباء المنصور كتاب الفصوص لقلة علمه وعدم الثقة في ما تضمنه من مادة مشكوك في صحتها[308]، ورغم ذلك فقد أثابه المنصور بخمسة آلاف دينار، وأمر بأن يسمعه للناس في المسجد الجامع بالزاهرة وهذا بعد سنة 385ه /995م[309] .

---

[305] الصفدي صلاح الدين المصدر السابق، ج17 ، ص25. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 337 .

[306] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1 ، ص 61 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق، ص 151 .

[307] الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 113. بشير رمضان التلييسي ، المرجع السابق ، ص 252.

[308] نفسه ، ج3 ، ص 345 .

[309] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 371 .

ورحل أيوب بن سليمان بن حكم بن بلكايش بن إليان القوطي (ت326ه/937م)[310] إلى المشرق فجلب معه الكثير من كتب العراقيين، ولكن أعرض الناس عن كتبه لأنها كانت في موضع الشك فلم يحدث بها أحد إلا ابنه [311] .

كما ثار بعض الأندلسيين على كتب الاختلاف، وغرائب الحديث لصاحبها المحدث بقي بن مخلد (ت276ه/889م)، ومن الكتب التي انفرد بها هذا الفقيه والمحدث ولم يدخلها سواه إلى الأندلس كتاب الفقه للإمام الشافعي(ت204ه/820م)، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة (ت235ه/849م)، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط(ت 240ه/854م)، وغيرها[312].

مما سبق ذكره عن دور الرحلة إلى المشرقية في رواج الكتب، يمكن الجزم بأن الرحلة كانت إحدى أهم العوامل الرئيسية في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في الغرب الإسلامي والأندلس خاصة من خلال إدخال وانتشار الكتب المشرقية التي جلبها الأندلسيون من رحلاتهم المتعددة والمتنوعة، فأصبحت أهم الكتب وأنفسها التي يتم تأليفها في بلاد المشرق توجد نسخ منها في الأندلس، من خلال شرائها من طرف الأمراء، والخلفاء، والملوك برسلهم، ووسائطهم التجاريين، وسفرائهم[313]، أو تلك التي يؤلفها العلماء من سماعهم مباشرة من مشايخ وعلماء المشرق، أو التي ينسخونها من الكتب فتنتج عنها نسخ كثيرة[314] .

كما ساهمت الرحلة العلمية في تنشيط حركة تبادل الأفكار والآراء والمعارف بين علماء الأندلس ، ونظرائهم في المشرق ، مما أثر في حيوية ونشاط التعليم بالأندلس والإنتاج العلمي من خلال تلك المناظرات والمناقشات ونشاط مجالس العلماء من إقراء وسماع ، وهذا ما أدى إلى التنوع في قنوات وطرق الاستزادة من العلوم والمعارف .

ومارس بعض العلماء الأندلسيين في رحلتهم العلمية أو الحجية التأديب والتدريس في بعض البلدان المشرقية كما كان لعلماء آخرين نصيب من الاهتمام من طرف علماء المشرق

---

[310] قرطبي، يكنى بأبي سليمان، سمع من بقي بن مخلد(ت276ه/889م) وصحبه ، كانت له وجاهة بعلمه .ابن الفرضي ، المصدر السابق، ق1 ، ص ص 86 – 87.

[311] نفسه . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[312] نفسه ، ق1 ، ص 92.

[313] استطاع بعض حكام الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أن يجندوا كُتاباً لهم في المشرق يعملون لحسابهم الخاص ، فيؤلفون لهم الكتب ويرسلونها إليهم ، ومثال ذلك ما قام به أبي الفرج الأصفهاني (ت356ه/967م) من تأليف العديد من الكتب لحساب بني أمية في الأندلس. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 199 .

[314] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص249 .

عند الاستشارة، والمناقشة في بعض القضايا لغرض الاستفادة من علمهم وخبرتهم في البحث والتقصي خاصة في مجال علوم الحديث الشريف[315] .

كما كان للرحلة دور في بث روح النقد عند الأندلسيين، فقد كانوا يعتبرون أن كل ما هو قادم من المشرق شيء مقدس لا جدال ولا نقاش فيه، ومن خلال احتكاك علماء الأندلس بعلماء المشرق في رحلاتهم العلمية أدى ذلك إلى اهتمام الأندلسيين بالبحث والتحري في بعض معلوماتهم التي درسوها سابقاً في الأندلس وفحصها ونقدها نقداً علمياً, وبهذا انتقل الأندلسيون من مرحلة التقليد والاقتباس من فكر أهل المشرق إلى مرحلة بناء ونضج الشخصية العلمية الأندلسية، حتى إلى درجة أنه استطاع بعض العلماء الأندلسيين تصحيح بعض أخطاء علماء المشرق المشهورين، ومثال ذلك أن الفقيه الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي (ت355ه/965م)، صحح في مجلس الإملاء بمصر للنحوي جعفر بن أحمد بن محمد بن النحاس المصري الخطأ الذي وقع فيه أثناء إملائه لبعض الأبيات الشعرية[316]، وكذلك الحال عندما انتقد عالم الأندلس اللغوي ابن رفاعة الألبيري اللغوي البغدادي أبا علي القالي(ت356ه/966م) في خطأه بعدم معرفته لإقامة وزن أحد الأبيات من الشعر [317].

لقد حاول بعض الباحثين كالأستاذ الدكتور عبد الواحد ذنون طه في كتابه دراسات أندلسية إحصاء عدد رحلات الأندلسيين نحو المشرق، إذ قدر عدد هؤلاء العلماء بنحو ستة وعشرين ومائتين شخصاً بالنسبة لعصر الإمارة الأموية لوحده ، يضاف إلى هذا العدد تسعة وعشرون شخصاً تكررت أسماؤهم في أكثر من موضع ، وهذا لقيامهم بزيارة أكثر من مكان واحد، ويرى أن هذا العدد ما هو إلا للذين جاء ذكرهم في كتب الطبقات والتراجم، وهو رقم غير منطقي، ودليل ذلك أن تلك المصنفات ركزت على أسماء العلماء البارزين فقط، وأهملت بعض الأسماء المغمورة[318] ، هذا بالنسبة لعصر الإمارة وحده فما بالك في بقية العصور (الولاة، الإمارة، الخلافة، وملوك الطوائف، المرابطون، الموحدون...الخ) لهذا لا يمكن أن إحصائهم بدقة، وهي فترات زمنية ليست بالقصيرة.

---

[315] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 198 .

[316] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 621 .

[317] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص199 .

[318] عبد الواحد ذنون طه ، دراسات أندلسية ، ص ص 199 – 200 .

وختاماً لـما سبق ذكره يقول ابن خلدون في فضل الرحلة : " فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال .." [319]، وبهذا فقد ساهمت الرحلة العلمية نحو الحواضر في تنشيط الحركة الفكرية بالغرب الإسلامي من خلال تكوين طلبة العلم الوافدين إلى علماء تلك الحواضر المقصودة، متخذين منهج الأخذ عن المشايخ والعلماء مباشرة ، لهذا لم يكتف هؤلاء المرتحلون بقراءة الكتب والمصنفات، وإنما انتهجوا البحث والارتحال لنيل الإجازات من مشارب وأقلام العلماء المشهورين مباشرة مهما كلف الأمر من جهد، ومال، ومخاطر.

المحاضرة السادسة

العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين الغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي

أ)-مظاهر تأثير المشرق على الغرب الإسلامي:

1/- المساجد:

احتل المسجد المكانة الأولى في اهتمام وعناية المسلمين باعتباره أول مؤسسة بنيت في الإسلام تعتني بإدارة شؤون المسلمين بعد البعثة النبوية، كما كان مركزا روحيا وعلميا للعبادة والتعلم، ونظرا لهذه المكانة، والأهمية أولى المسلمون بتشييد الكثير من المساجد التي لا تعد ولا تحصى.

ولم يشذ أهل الغرب الإسلامي عن هذه القاعدة؛ فقد أولوا عنايتهم ببناء المساجد، والحرص على إبراز جمالية البناء العمراني الخاص بها خارجيا وداخليا، فاتصفت تلك المساجد بحسن تخطيطها، وقوة، ومتانة بنيانها.

والملاحظ أن لأهل المشرق الفضل في تشييد هذه المنشأة الفنية، فقد ظهرت المساجد لأول مرة منذ عصر الفتح الإسلامي؛ ففي ولاية عقبة بن نافع(50-55ه/970-975م)على افريقية قام بناء مدينة القيروان سنة 50ه/970م رابع الأمصار العربية بعد الكوفة، والبصرة،

[319] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 1120 .

والفسطاط فأسس بها جامعا، واتخذ دارا للإمارة[320]، وهذا الجامع يعد أولى المساجد في الغرب الإسلامي الذي دشن بفضل الفاتحين الوافدين من المشرق.

وقام حسان بن النعمان(71-85ه/690-704م) ببناء مدينة تونس بدورها، وجامعها سنة 84ه/703م[321]، وأما الوالي عبيد الله بن الحبحاب السلولي (116-123ه/734-741م) فقد أنشأ الجامع الأعظم بتونس(جامع الزيتونة)سنة 116ه/734م[322]، وقد تكفلت تلك المساجد بتعليم أهل المغرب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واللغة العربية فكانت أولى المؤسسات التعليمية بالغرب الإسلامي ويرجع الفضل في ذلك للفاتحين القادمين من المشرق.

وأما في الأندلس فيرجع الفضل في ظهور أولى المساجد بها إلى الفاتحين الذين دخلوا إليها وعلى رأسهم موسى بن نصير الذي شيد بالجزيرة الخضراء(Algeciras) في بدايات عمليات الفتح بالأندلس من سنة 93هـ/711م أسس بها مسجداً عرف فيما بعد بمسجد الرايات[323]، ولم يبرح القائد موسى بن نصير الموضع حتى أمر بتخطيط المسجد الذي يطل على البحر[324]، وينسب للتابعي الجليل حنش بن عبد الله السبئي الصنعائي (ت100هـ / 718م)[325] بناء مسجد بسرقسطة(Zaragoza) بعد فتحها، وهو أول من اختطه من التابعين

---

[320] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 134.

[321] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص36. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 99ومابعدها.

[322] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 66. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص51.

[323] وسمي بهذا الاسم لاجتماع رايات العرب ووجوه الكتائب من الموالي لفتح الأندلس .عبد الرحمن علي الحجي ، **التاريخ الأندلسي** ، دار القلم، ط5 ،دمشق، 1997، ص 73 .

[324] محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، أبوظبي، بيروت، 2002، 139. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص73.

[325] وحسب رواية المقري التلمساني فإنه توفي بسرقسطة ودفن بها ، وقبره عند باب اليهود غربي سرقسطة ،وحنش بن عبد الله هو تابعي، ثقة، يكنى أبا رشيق، وأبا رشدين، و أبا علي ،كان مع الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة ، وقدم مصر بعد استشهاد علي بن أبي طالب، وغزا المغرب ثم الأندلس مع موسى بن نصير، ويقال بأنه أول من ولي عشور افريقية، واختلف المؤرخون في مكان وفاته فابن الفرضي، والحميدي يقولا بأنه توفي بإفريقية، وأما المقري فيذكر بأن أهل سرقسطة يزعمون أنه توفي ببلدهم وقبره عندهم معلوم على حد تعبيره، وحنش هو لقبه أما اسمه فهو حسين بن عبد الله. ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص125. الحميدي، المصدر السابق، ص ص 202-203. ابن الأثير، المصدر السابق، م4، ص324. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص221.ج3، ص289. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 286 .

الذين أسسوا مسجد قرطبة(Cordoba) وحددوا قبلته كما اختط بناء مسجد البيرة (Elvira) حتى لقب بمهندس المساجد بالغرب الإسلامي أثناء الفتح[326] .

ومن أشهر المساجد التي شيدها المسلمون في الأندلس المسجد الجامع بقرطبة الذي بني ملاصقا لكنيسة النصارى الكبرى المعروفة بشنت بنجنت (St Vincent) عندما تم فتح قرطبة على يد مغيث الرومي، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل تم ضم الأرض التي كانت تشغلها الكنيسة بعد أن اشتراها من النصارى، وبني المسجد الجامع حتى يتناسب مع ازدياد المصلين، وحتى يبين عظمته وروعته مع فخامة الدولة الأموية، وكان ذلك سنة 169ه/785م، فتم بناؤه وأكتملت أسواره سنة 170ه/786م بعد أن هدم المسجد القديم والكنيسة[327]، وقد تواصلت عمليات الزيادة والترميم في العهود اللاحقة.

وقام الأمير عبد الرحمن الأوسط بتشييد العديد من المساجد، ومنها المسجد الجامع بمدينة جيان سنة 210ه/825م[328]، والمسجد الجامع بإشبيلية المعروف بمسجد عمر بن عدبس على اسم القاضي بناه عمر بن عدبس(ت214ه/829م)، ويعد هذا المسجد من أجمل البنايات الأندلسية من خلال تحفته الفنية من خلال صومعته الفريدة من نوعها[329].

وفي اشبيلية كذلك شيد الموحدون جامعهم الكبير في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف سنة 567ه/1171م لاستيعاب الأعداد الكبيرة من المصلين، وقام على بنائه فريق من العرفاء والبنائين من العدوتين[330]، ولم يكتمل بناء صومعة المسجد إلا في سنة 591ه/ 1194م بعد

---

[326] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص125. الحميدي، المصدر السابق، ص 202. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص96. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص83.عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص91.

[327] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ص 383-384.

[328] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 213. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 82.

[329] ابن القوطية (أبوبكر محمد بن عمر)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989،ص50. سامية أبوعمران، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري: تحقيق، وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل،"** أطروحة دكتوراه"، جامعة السربون، باريس، 1993، ص310.

[330] ابن صاحب الصلاة عبد الملك، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص ص 384- 385.

موقعة الارك المشهورة، واستفاد الخليفة المنصور الموحدي في بناء الجامع والمأذنة من أعمدة مدينة الزهراء والتي نقل بعضها أيضا إلى مراكش وغرناطة[331].

2/- الرُبْط أوالأربطة:

جاء لفظ الرباط في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فقد قال تعالى في إحداها: " يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اِصْبـِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[332]، والرباط في هذه الآية بمعنى الصبر عن الدنيا وهوى النفس، وجاء في موضع آخر قوله عز وجل: " وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ"[333]، وتفسير الرباط هنا بمعنى ربط الخيل وإعدادها للجهاد وحماية البلاد من هجمات الأعداء[334]، ومن معانيها كذلك الزاهد، العابد، الحصن، المحرس[335] ، والرباط هو كذلك العصب (أحد عضلات جسم الإنسان الرئيسية)[336] .

أما اصطلاحاً فالمقصود بالرباط هو مؤسسة أو زاوية إسلامية محصنة يجتمع فيها الفرسان للتأهب من أجل القيام بحملة ما[337].

ولقد انتشرت حركة الربط في الغرب الإسلامي، وأولى الأربطة التي أنشئت هو القيروان فالبرغم أنها أول حاضرة شيدت في الغرب الإسلامي إلا أنها تعد في حد ذاتها أول رباط بني في هذه البلاد[338]، زيادة على رباط شاكر الذي أسسه عقبة بن نافع في حملته الثانية(62-64ه/681 -683م) على نهر تانسيفت وعين فيه قائدا وداعية إسلامية يسمى شاكر، فسمي الموضع برباط شاكر[339].

---

[331]السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، ص255.

[332] سورة آل عمران 30 / الآية 200 .

[333] سورة الأنفال 08 / الآية 61.

[334] محمد الأمين بلغيث،**الربط بالمغرب الإسلامي**،"رسالة ماجستير"،قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي1986 – 1987، ص35.

[335] منطقة محصنة ، تضم حامية أو برج مراقبة . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق، ص35 .

[336] البستاني بطرس، **دائرة المعارف** ، ج8 ، ص 515 (مادة الرباط) .

[337] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 108 .

[338] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 134.

[339] نفسه، ص 135.

وأما في الأندلس فقد أنشئت الأربطة على طول الساحل الشرقي، وهي ما أطلق عليها مصطلح البلاد البحرية[340]، ومن أشهر هذه الربط رباط بجانة[341] .

ولم يقتصر دور الربط في الاتجاه الحربي، بل كانت كذلك بمثابة البيوت التي ينقطع فيها المعلم ومريدوه عن حياة العامة من أجل العلم، والعبادة، والتصوف؛ إذ كانت غالبية أصحاب هذا الاتجاه من المتصوفة، والزهاد الذين طلقوا حياة الترف، والملذات، وطلب الدنيا، واعتكفوا لطلب العلم والزهد[342].

3/- المدارس:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ظهور المدارس بدقة؛ فقد كان المتعلمون يتلقون العلم في المنازل، أو الكتاتيب، أو المساجد، ولم يكن نظام المدارس معروفا إلا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد؛ وأولى المدارس التي اشتهرت آنذاك المدرسة البيهقية في نيسابور، ومدرسة السعدية في نيسابور التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين شقيق السلطان محمود (ت بعد 390ه/1000م) عندما كان حاكما لنيسابور[343]، غير أن الكثير من المؤرخين من يرون بأن نظام المدارس ظهر أول مرة في المشرق على يد الوزير نظام الملك في فترة حكم السلاجقة؛ لهذا فهي منسوبة إليه باسمه "المدرسة النظامية"، ويرجع تاريخ تأسيس المدرسة النظامية في بغداد إلى بين سنتي 457ه/1065م و459ه/1067م، ولقد قصدها طلبة العلم من المغرب ومن أشهرهم أبوبكر المعافري الذي وصل إليها بعد مقتل الوزير نظام الملك بخمس سنوات، وإلتقى فيها بالإمام أبي حامد الغزالي ثم كتب رحلته وملاحظاته، وأطلق عليها اسم مدرسة السلام[344].

---

[340] العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، معهد العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، 1988، السفر الثاني، ص 44 .

[341] تعرف كذلك بمرية بجانة ، واسم المرية في الأصل بمعنى مرأى أي محرس المدينة ، ويطلق عليها باب الشرق ، تشتهر بصناعة الديباج . العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، **وصف افريقية والمغرب والأندلس (مقتبس من كتاب مسالك الأبصار)** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، العدد11، مجلة البدر ، جامعة الزيتونة ، تونس،(د.ت) ص40 . أحمد رمضان أحمد ، **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط** وزارة الثقافة المصرية ،القاهرة ،(د.ت) ، ص25 .

[342] محمد الأمين بلغيث ، دولة المرابطين بالأندلس ، ص85 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 65 – 66 .

[343] بوعبدلي المسعود عبد الوهاب، **الوزارة والحياة العلمية في الدولة السلجوقية في عهد الوزير نظام الملك**، " أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط"، جامعة الجزائر 2، الجزائر، الموسم الجامعي 2020-2021، ص 182.

[344] نفسه، ص ص200-201.

ولقد انتقل نظام المدارس إلى الغرب الإسلامي، فاشتهرت خاصة في عهد الموحدين بروعة العمارة، فقد أبقوا على المدارس التي تأسست قبل مجيئهم، لكنهم أضافوا بعض التعديلات المعمارية، والفنية الجمالية باعتبارها من أبرز مراكز الإشعاع العلمي، والثقافي إن لم نقل أهمها، وأسس عبد المؤمن بن علي مدارس بمراكش، واستدعى المعلمين إليها، وأما في الرباط فقد أسس بها مدرسة لتعليم فن الملاحة[345].

وحظي عهد المنصور الموحدي ببناء عدة مدارس في العديد من المناطق[346]، إذ يقول ابن أبي زرع: " وبنا المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والأندلس"[347]، ومن بين تلك المدارس نذكر على سبيل المثال لا الحصر: المدرسة الجوفية، ومدرسة المهدية بمدينة سلا، فقد بناهما الخليفة يعقوب المنصور[348]، وبنا مدرسة سلمها للإمام أبي العباس السبتي[349]، ومدرسة خاصة بأبنائه، وباقي أفراد أسرته، وهي المدرسة التي كانت ملحقة بالقصر، وأنشأ أخرى بمراكش[350].

وفي الأندلس التي لم تعرف نظام المدارس إلا في عهد يعقوب المنصور الذي أدخلها سنة 580ه/1184م،والتي اشتقت تصاميمها من عمارة الأربطة[351]،واشتهر الخليفة محمد الناصر بأنه ابتنى عشرين مدرسة[352]، ولا ندري إن كان هذا العدد يخص المغرب أو الأندلس أو معا.

---

[345] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 17.

[346] السلاوي الناصري(أحمد بن خالد)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج2، (د.ت)، ص198.

[347] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص107.

[348] السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 198.

[349] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 88.

[350] الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2 بيروت، 1983، ص133.

[351] هبة الله محمد، **العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي(550-650ه/1155-1252م)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2013، ص461.

[352] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص401.

ب)-مظاهر تأثير الغرب الإسلامي على المشرق:

1/- الأسوار:

تعد الأسوار من المنشآت الدفاعية المهمة للمدن أو في الثغور، ويكمن دورها الأساسي في الحماية من اعتداءات وغارات الأعداء أو احتياطا للظروف المناخية المتقلبة كالفيضانات والسيول على سبيل المثال.

ولقد اهتم أهل الغرب الإسلامي بهذه المنشأة الدفاعية بحكم أنها أرض جهاد في عصر الفتوحات الإسلامية، وبقيت أهمية هذا المنشأة بعد نهاية الفتوحات، وقيام الدول في المغرب والأندلس، وهذا احتياطا لغارات الأعداء الخارجيين؛ فقد شهدت الكثير من الحروب ومنها مثلا غارات النورمان على الأندلس بداية من سنة 229ه/844م، والصراع الفاطمي الأندلسي في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، زيادة على ذلك اهتم حكام الغرب الإسلامي بتحصين المدن بالأسوار خاصة في المدن الكبرى للحد من هجمات المتغلبين، والمنزوين، والمتمردين الداخليين كطليطلة، على سبيل المثال التي شهدت ثورات المولدين طيلة فترة الحكم الإسلامي.

ولقد تأثر أهل المشرق بطريقة بناء الأسوار في الغرب الإسلامي خاصة في عصر الموحدين؛ إذ تذكر الدراسات بأن سور الإسكندرية بُني في عصر صلاح الدين الأيوبي على النموذج الموحدي المعتمد في تحصين المدن الأندلسية كإشبيلية، وبطليوس، إذ كانت الأسوار مزدوجة؛ فكان في السور الأمامي بابا واحدا، وفي الستارة الرئيسية بابان، ويفصل بين البابين رحبة أو أسطوان، وظهر هذا النوع من الأسوار في الأندلس في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580ه/1162-1184م)، وكان قد أمر هذا الأخير ببناء سور اشبيلية من جهة الوادي الكبير بعد أن تهدم بسبب السيل العظيم الذي كان في سنة 564ه/ 1125م؛ فبناه بالحصى والجيار من الأرض، وكان صلاح الدين قد أمر ببناء سور الإسكندرية على هذا النمط بين سنتي (566-572ه/1170-1176م)، وفي هذه الفترة توافد الكثير من المغاربة والأندلسيين على مصر عامة والإسكندرية خاصة، واحتوت هذه

الدفعات من المهاجرين العديد من البنائين الذين ساهموا في نشر النموذج المعماري الموحدي خاصة في المجال العسكري[353].

2/-المآذنُ والقُبَبُ :

تعد المئذنة إحدى أبرز المعالم الأساسية المكونة لبناية المسجد، وتتنوع بناية المآذن بحسب العصور التي بنيت فيها؛ فهناك المئذنة الفاطمية، والمئذنة الأندلسية، والمئذنة الفارسية، والمئذنة العثمانية....الخ.

وبدأ اهتمام أهل المشرق ببناء المآذن منذ العصر الأموي؛ فقد بُني لجامع البصرة في عصر معاوية بن سفيان منارة من الحجر سنة 45ه/ 665م بعد أن هُدم الجامع الأول، وأُعيد بناءه بالحجارة، ويلاحظ أن "المنارة " هو الاسم الأول الذي كان يطلق على المئذنة في المشرق[354] .

وكما أشرنا سابقا بأن أهل المشرق كان لهم السبق، والفضل في تشييد المساجد بالغرب الإسلامي؛ فقد كان هدف الفتوحات الإسلامية الأول والأساسي هو نشر الإسلام في هذه البقاع؛ فكان لزاما أن تشيد المساجد لإقامة الصلوات فيها، لكن الفن المعماري لهذه المنشأة الدينية عرف تطورا وتنوعا في المشرق والغرب الإسلامي على حد سواء؛ فقد انتقلت فنون عمران المساجد، وأهم الفنيات المميزة للعمارة بين القطرين بحسب العصور التاريخية، والدول المتعاقبة في العصر الوسيط.

وإذا كان الغرب الإسلامي قد أخذ من المشرق هندسة بناء المساجد؛ فإن المشرق أخذ من الغرب الإسلامي بعض الفنيات والتفاصيل المعمارية في بناء هذه المنشأة، ومنها طريقة تشييد المآذن؛ فقد بنيت مئذنة المشهد الحسيني بالقاهرة في العصر الأيوبي، وبالضبط في عصر الملك الكامل (615-635ه/1218-1237م)، علما بان المسجد كان قد بني في العصر الفاطمي، وهذه المئذنة شيدت في سنة 634ه/1237م، وهي مربعة القاعدة تعلو الباب الأخضر، وتبرز التأثيرات الأندلسية في هذه المئذنة في الجزء المربع من الواجهة الجنوبية في صورة ثلاث طاقات على محاريب مجوفة تنتهي بطاقة معقودة مقرنصة، تزخر

---

[353] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 166-167. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص105. هبة الله محمد، المرجع السابق، ص ص462-463.

[354] حسين مؤنس، **المساجد**، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص ص 113-114.

بالزخارف النباتية، والمرواح النخلية، وإنصافها المحفورة في الجص على الطراز الاندلسي، والنقوش الكوفية التي تشبه نظائرها في قصر الجعفرية، والمسجد الجامع بتلمسان، والزخارف الجصية لقبة البارودیین، والزخارف الجصية الأندلسية التي ترجع إلى عصر المرابطين و الموحدين، وتعلو كل حشوة طاقة معقودة مقرنصة، وتشغل الفراغين بينهما قوقعتان مقرنصتان[355].

وأما في بناية القبب فقد تأثر المصريون بالهندسة المعمارية الأندلسية ، وتجلى ذلك بشكل بارز في عصر السلطان الكامل محمد سنة 608/ 1211م، ويكمن ملامح التأثير الأندلسي في قبة الإمام الشافعي ؛ إذ تبرز الحشوات الزخرفية الجصية التي داخل إطارات مستطيلة تزين أعلى العنق المثمن للقبة من الخارج، ومكتوب في تلك الحشوات عبارات بالخط الكوفي منها على سبيل المثال: "الملك لله"، و"الله عدة" بالإضافة إلى الزخارف النباتية التي على شكل مراوح نخلية وأنصافها، وهي نفس الزخرفة الموجودة في الأندلس في قصر الجعفرية بسرقسطة، وفي عمائر المرابطين والموحدين في جامع تلمسان، وجامع الكتبية بمراكش ، وتينملل في السوس على سبيل المثال لا الحصر، وتتعدد المحاريب في القبة من الداخل كما هو في محاريب مساجد المغرب والأندلس ومنها جامع قرطبة على سبيل المثال[356].

3/-الأضرحة:

ومفردها ضريح، وهو البناء المشيد فوق القبر، وتعلوه قبة، ويعتبر الضريح معلما مقدسا يبنى على قبر شخصية متوفاة، لها سمعتها الاجتماعية، والدينية، اشتهرت بالصلاح والكرامات، وكانت لها هيبة ومكانة في وسط المجتمع، وعادة ما تكون هذه الشخصيات من شيوخ الزوايا.

ولقد ارتبطت ظاهرة بناء الأضرحة بالطرق الصوفية في عدة أقطار عربية، وإسلامية ومنها بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط[357]، وكان للمغاربة طريقتهم الخاصة في بناءها ، والتي انتقلت بعض فنيات بناءها إلى المشرق؛ ففي ضريح الخلفاء العباسيين بمصر الذي أقيم في آخر العصر الأيوبي على الطراز المغربي من خلال القبة المدببة ذات المراكز

[355] هبة الله محمد، المرجع السابق، ص464.

[356] نفسه، ص ص 466-467.

[357] جيلاني سراج، **زيارة الأضرحة وأثرها على المعتقدات الشيعية "ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة باتنة، ص 29.

الأربعة على غرار ما هو موجود في قبة المسجد الجامع بالقيروان[358]، وفي العقود المركبة والمفصصة لهذا الضريح بجدار المحراب من الداخل، وفي التوريقات الزخرفية، والنقوش الكوفية التي تزين المحراب، وفي نقش بالخط الكوفي المضفر داخل حشوة جصية على جانبي المدخل نطالع فيه " عبارة اليمن"؛ فهذه العناصر الزخرفية نجد نظرائها في الأضرحة بالغرب الإسلامي، ومنها على سبيل المثال في قصر الجعفرية بسرقسطة، وجامع تلمسان، وفي الزخارف الجصية الموحدية في مرسية[359].

وتظهر هندسة الأضرحة المغربية في مصر كذلك في ضريح الملكة شجرة الدر(ت 648ه / 1250م) زوجة السلطان الصالح نجم الدين أيوب التي أقامته لنفسها، وتتجلى هذه الهندسة من خلال الزخارف الجصية داخل طاقية البوابة المواجهة لمحراب الضريح، والنقوش الكوفية المتناسقة داخل عقود مدببة، ومكتوب فيها عبارة :" العزة بالله"، وقد رتبت حروفها بشكل متناسق[360].

[358] لا توجد بهذا الضريح الكتابات التي تدل على تاريخ إنشاءه، ويحتوي هذا الضريح على ثمانية توابيت، وعليها كتابات تبين أسماء أصحابها، وتواريخ وفياتهم، والضريح مربع الشكل، ويتوسط جداره الجنوبي محراب مجوف، ويواجهه في الجدار الشمالي باب يحفه من الخارج محرابان صغيران مجوفان، واحد من كل جانب، وتعلو كل منهما طاقات مشعة تزينها مقرنصات. هبة الله محمد، المرجع السابق، ص464.

[359] هبة الله محمد، المرجع السابق، ص465.

[360] نفسه، ص ص 465-466.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1)-كتب التاريخ العام:

-ابن الأثير(علي بن أبي الكرم)، **الكامل في التاريخ**، ج5، تحقيق أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت،1987 .

-ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، ط5، 1982.

- // // // // ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن **رسائل ابن حزم الأندلسي 384 – 456 ه**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.

- الخطيب البغدادي(أحمد بن علي)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)**، تحقيق وضبط وتعليق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001.

-ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

- // // // // ، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق وتنظيم وضبط وشرح وتعليق علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006.

-الدباغ(عبد الرحمن بن محمد)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج3، تعليق أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978.

- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972.

- ابن صاحب الصلاة عبد الملك، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.

- محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، أبوظبي، بيروت، 2002.

-الناصر السلاوي(أحمد بن خالد)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، (د.ت).
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، **فتوح مصر وأخبارها**، مطبعة بريل، ليدن، 1920.
- ابن عذارى المراكشي، (أبوعبد الله محمد)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج.س .كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.
- ابن القوطية(أبوبكر محمد بن عمر)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989.
- المقري التلمساني(أحمد بن محمد)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940.
- // // // //، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998.
-المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت).

2)-كتب الطبقات والتراجم :

-ابن الأبار القضاعي(محمد بن عبد الله)، **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2008.
-إسحاق بن حنين، **تاريخ الأطباء والفلاسفة** تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985.
- ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997.
-أبو بكر المالكي(عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس**، ج1، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.
-تاج الدين السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن علي) ، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1976.

-ابن جلجل الأندلسي(أبوداود سليمان بن حسان)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985.

- الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

-الخشني القروي(محمد بن الحارث)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

-ابن خلكان شمس الدين(أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1994.

-الزبيدي الأندلسي(أبوبكر محمد بن الحسن)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984.

- ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1978.

- شمس الدين الذهبي(محمد بن أحمد)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.

- صاعد الأندلسي(أبو القاسم صاعد بن أحمد)، **طبقات الأمـــم**، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.

- صلاح الدين الصفدي(خليل بن أيبك) ،**الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000.

-الضبي (أحمد بن يحيـى)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989.

-عبد الرحيم الأسنوي(جمال الدين) **طبقات الشافعية**،تقديم كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987.

-ابن فرحون المالكي (إبراهيم بن علي)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج1،، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

- أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

- الفراء البغدادي(محمد بن أبي يعلى)، **طبقات الحنابلة**، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض، 1999.
- ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
-القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب** مالك،ج1، تحقيق ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، (د,ت).
- ياقوت الحموي(شهاب الدين بن عبد الله)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب**، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت).

3)-كتب الأديان والفرق والمذاهب:

-البغدادي(عبد القاهر بن طاهر)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1977.
- أبو حسن الأشعري(علي بن إسماعيل)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق محمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992.
-ابن أبي زيد القيرواني(أبو محمد عبد الله)، **رسالة ابن أبي زيد القيرواني(مالك الصغير)**، كتبها وحققها: أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2005.
- الشهرستاني(أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أحمد)، **الملل والنحل**، تقديم صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط2، 2002.
-القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية تونس، الجزائر، ط2، 1986.
-اللمطي(أبو الحسن محمد بن أحمد)، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تصحيح ومراجعة ديد رينغ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009.

4)-كتب المعاجم واللغة والأدب العربي :

- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، 2008.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

5)-كتب البرامج والفهرست:

- ابن عبد البر النمري(يوسف بن عبد الله)، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2006.

-ابن النديم(أبو الفرج محمد إسحاق)، **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997

4)-كتب الجغرافيا:

- الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم محمد)، **المسالك والممالك**، (د.ب)، (د.ت).

- الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2 بيروت، 1983.

-الحميري(محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.

- أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن، أندري فيري، بيت الحكمة، قرطاج، 1992.

- // // // //، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

- العذري(أحمد بن عمر بن أنس)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامـية، مدريد، (د.ت).

- العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، معهد العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، 1988.

-ياقوت الحموي(شهاب الدين بن عبد الله)،**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت.

ثانيا: المراجع:

1)-العربية:

- إبراهيم علي العكش، **التربية والتعليم في الأندلس**، دار عمار، دار الفيحاء، ط1، عمان، 1986.

-أحمد تيمور باشا، **المذاهب الفقهية الأربعة(الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين**، تقديم محمد أبو زهرة ، دار القادري، ط1، بيروت، 1990.

- أحمد رمضان أحمد، **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط**، وزارة الثقافة المصرية القاهرة،(د.ت) .

-أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت.

- // // // //، **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

-بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2003.

- بلغيث محمد الأمين، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار التنوير ، 2006

- // // // // ، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم**، دار الوعي، ط1، الجزائر ،2009.

- بوزيان أحمد، **تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين**، دار الهدى، الجزائر، 2004.

- بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

- الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987.

- جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007.

- حسن خضيري أحمد، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)**، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة.

- حسن عبد الحميد جبر المالكي، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها**، دار الكتاب الحديث، ط2، الكويت، 1999.

- حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني،**الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول(648-784ه/1250-1382م) العلوم الشرعية واللغوية**، دار غيداء.

-حمودة عبد الحميد حسين، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي –منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006.

-خليل إبراهيم الكبيسي،**دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، دار البشائر الإسلامية،ط1، بيروت، 2004.

-زنيبر محمد، **دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس اكدال ، ط1 ، الرباط ، 2010.

- سامعي إسماعيل، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- سامية مصطفى مسعد، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399ه/ 912- 1008م**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000.

- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- // // // //، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997

-// // // //، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2008.

- الشيال جمال الدين، **تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

- ضيف شوقي، **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1998.

- طرفة عبد العزيز العبيكان، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة بين القرنين السابع والثامن للهجرة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

- عاصم حمدان علي حمدان، **المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ**، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، 1991.
- عبد الرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي** ، دار القلم، ط5 ،دمشق، 1997.
- عبد السلام هاشم حافظ، **المدينة المنورة في التاريخ "دراسة شاملة"**، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط3، 1982.
- عبد الواحد ذنون طه وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004.
- // // // // ، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، دار المدار الإسلامي ، ط1، بيروت، 2004.
-عصام عبد الرؤوف الفقي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
-علي عبد الفتاح المغربي، **الفرق الكلامية الإسلامية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1995.
-عواطف محمد يونس نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** "دراسة تحليلية مقارنة "، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.
-غالب بن علي عواج، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**،ج1، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط2، 2001.
- فيلالي عبد العزيز، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1991.
- كرد علي، **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية، ط1، 1923.
- لقبال موسى، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2002.
-محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، بيروت، ط5، 2011.
-محمد طه الحاجري، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1983.
- محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، القاهرة.

-محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296ه)**، ط3، دار القلم، الكويت، 1987.
- محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، دار الكتب، (د.ب)، 1990.
- محمد المختار ولد أباه، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، سلا المغربية، 2001.
-محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985.
- محمود محمد الحويري، **مصر في العصور الوسطى "من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني"**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط2، القاهرة، 2002.
- مصطفى بن محمد بن مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق الإسلامية.**
- مؤنس حسين، **المساجد**، عالم المعرفة، الكويت، 1981.
// // // // ،**تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992.
- // // // //، **شيوخ العصر في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ب)، (د.ت).
- // // // // ، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004.
-هبة الله محمد، **العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2013.
-الهنتاني نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي**، دار تبر الزمان، تونس، 2004.

2)-المترجمة إلى العربية:

-أنخل جنثالث بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.
-بل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.
- دوزي رينهرت، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

- ريبيرا خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية،** ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994.
- كرباخال مارمول، **إفريقيا،** ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1988.

ثالثا: الرسائل الجامعية والأطروحات:

- أيمن شاهين سلام، **المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني،** "أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي"، قسم التاريخ، جامعة طنطا، مصر، إشراف أحمد عبد الحميد خفاجي، 1999
- بلغيث محمد الأمين، **الربط بالمغرب الإسلامي،**"رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي1986–1987.
-أبوعمران سامية، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري: تحقيق، وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل،"** أطروحة دكتوراه في التاريخ"، جامعة السربون، باريس، 1993.
- بوعبدلي المسعود عبد الوهاب، **الوزارة والحياة العلمية في الدولة السلجوقية في عهد الوزير نظام الملك،** " أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط"، جامعة الجزائر2، الجزائر، الموسم الجامعي 2020-2021.
-بولعراس خميسي ،**الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف400–479هـ/1009- 1086م،** "مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي"،قسم التاريخ،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الموسم الجامعي2006-2007.
- خديجة طاهر منصور، **"العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية (140-668ه/757- 1269م)"**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الموسم الجامعي 2018-2019.
- سراج جيلاني، **زيارة الأضرحة وأثرها على المعتقدات الشيعية "ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا"،** "مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة.

- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد،** " أطروحة دكتوراه"، كلية التربية، جامعة الموصل، 2003.

-وفاء يعقوب جبريل برناوى، **دولة بني مدرار الصُّفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضارية (140-347ه/ 577-958م)،** "رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003.

رابعا: المقالات والدوريات:

- بوباية عبد القادر، **إسهام التاهرتيين في الحركة العلمية بالأندلس،** مجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون تيارت، عدد خاص أكتوبر 2009.

- تمورو عبد الصمد، **تجديد الكلام في علم الكلام** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش ، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ط1، 2005.

- جودة عبد الرحمن هلال، **"مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه"،** مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، العدد03، م1، 1955.

- عبد السلام بن المختار شقور، **المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية،** بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426ه.

- بن عيسى أحمد بويوزان، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين،** بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426ه.

- كراراز فوزية، **"مصطلح الغرب الإسلامي بين الرفض والقبول"،** مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 6.

- يفوت سالم، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله،** أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ط1، 2005.

خامسا: الموسوعات والأطالس ودوائر المعارف:

- البستاني بطرس، **دائرة المعارف**.

- الحفني عبد المنعم، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1993.

- الزركلي خير الدين، **الأعـلام**، دار العلم للملايين، ط16، بيروت، 2005.

-محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرون**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1971.

- مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987.

فهرس المحتويات

مقدمة.....7
المحاضرة الأولى: تحديد جغرافية قطري العالم الإسلامي (المشرق والغرب الإسلامي) وخصائص كل منهما.....9
1-التعريف اللغوي(المشرق/ الغرب الإسلامي).....9
2-التحديد الجغرافي.....9
3- خصائص كل قطر.....12
المحاضرة الثانية: أثر الفتوحات الإسلامية في الروابط الثقافية بين القطرين.....14
1-عناصر السكان المغرب.....14
2-دور الفاتحين في نشر الإسلام واللغة العربية بالمغرب.....14
3-دور الفاتحين في إرساء النظم الإسلامية بالمغرب.....16
المحاضرة الثالثة: الحركة العلمية ودورها في التواصل الثقافي بين الغرب والمشرق الإسلاميين.....18
1-العلوم التي انتقلت من المشرق إلى الغرب الإسلامي.....18
2-العلوم التي انتقلت من الغرب الإسلامي إلى المشرق.....23
المحاضرة الرابعة: المذاهب والفرق وتأثيراتها الثقافية بين الغرب والمشرق الإسلاميين
.....26
1-انتشار الخوارج في الغرب الإسلامي.....27
2-دخول المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب الإسلامي.....35
3-المذهب المالكي وسيادته في الغرب الإسلامي.....38
4-المذاهب السنية غير المالكية في الغرب الإسلامي.....44
5-المعتزلة وانتشارها في الغرب الإسلامي.....49
المحاضرة الخامسة: الحواضر الإسلامية ودورها في الإشعاع العلمي بين الغرب والمشرق الإسلاميين.....57
1-الحواضر المشرقية.....58
2-حواضر الغرب الإسلامي.....67

3-الرحلة ودورها في الإشعاع العلمي بين الغرب والمشرق الإسلاميين.....82
المحاضرة السادسة: العمارة الإسلامية مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين الغرب والمشرق الإسلاميين.....87
1-مظاهر تأثير المشرق في الغرب الإسلامي.....87
-المساجد.....87
-الربط /الأربطة.....90
-المدارس.....91
2-مظاهر تأثير الغرب الإسلامي في المشرق الإسلامي.....93
-الأسوار.....93
-المآذن والقبب.....94
-الأضرحة.....95
قائمة المصادر والمراجع.....97
فهرس المحتويات.....109